القول المشهور

في ترجمة الإمام المنصور

إعداد الفقير إلى عفو الله القدير

إبراهيم يحيى الدرسي الحمزي وفقه الله

منشورات

مركز الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام

مقدمة

الحمد لله الأول بلا ابتداء، الآخر بلا انتهاء، الدائم بلا فناء، المتعالي عن اتخاذ الصواحب والأبناء، الخالق لما أراد، والمعيد لما أفنى وأباد، صادق الوعد والوعيد، المنزه عن ظلم العبيد، لم يقضِ بالظلم والفساد، بل حكم بالعدل والرشاد، أحمده لفضله، وأستدل عليه بفعله، وأصفه بعدله.

وأشهد أن لا إله إلا الله شهادة مؤداها الإيمان، نطق بها اللسان، واعتقدها الجنان، وعمل مقتضاها الجوارح والأركان، ثقيلة في الميزان، مرضية للرحمن.

وأشهد أن محمداً عبده ومختاره الأمين، ورسوله إلى الخلق أجمعين، بعثه على حين فترة من الرسل، واختلاف من الملل، فبلغ الرسائل، وأوضح الدلائل، وأنذر القبائل، حتى سطع نور الحق والهدى، وانقشع سربال الغي والردى، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله الأطهار المنتجبين الأخيار.

وبعد: فإن من النعم التي يجب شكرها، ولا يسع المكلف كفرها، ما مَنَّ الله علينا به، وأوجب علينا حمده بسببه من وجود أهل البيت عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ، ومعرفتهم ومعرفة علومهم.

ووفي هذه الأسطر نقدم ترجمة لأحد أئمة الزيدية، ونجم من نجوم العترة الزكية، لا لأجل التعريف به، فهو أعرف من أن يُعرف، وأجل من يُوصف، ولكن كما قال الشاعر:

أسـامي لـم يـزدن معرفـة   وإنمـا لـذة ذكرناهـا

مقام أمير المؤمنين ابن حمزة   أجل وأعلى من أن يحيط به وصفي
رفعت إليه الطرف فارتد خاسئاً   ولا غرو أن يترد من خجل طرفي

وأيقنت أن الصيد ما ضمه الفرا فقلت لكفِّي عن كتابته كُفِّي

كيف تحوي سطور الدفاتر بحراً من بحور العلم الزاخر؟

وكيف تعبر أقلام الكتَّاب عن شمس لا يحجبها حجاب؟

وهو الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عليه السلام، فنقول وبالله التوفيق:

ترجمة الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ

هو الإمام الأعظم الكبير، والبحر الخضم الغزير، والبدر الأتم المنير، ذو الفضائل المأثورة، والكرامات المشهورة، والوقائع المذكورة، البحر الذي لا يوقف له على ساحل، صدر الأماثل، ورب الفضائل، المجدد للدين، والقائم بإحياء شريعة سيد المرسلين، المحيي للشريعة، والمميت للبدع الشنيعة، والرافع لراية الشيعة الرفيعة، المثبت قواعد الزيدية، والمفني أعدائهم من المطرفية، وجميع الضلال من البرية، من أرباب الفرق الغوية، المنصور بالله أمير المؤمنين، أبو محمد عبد الله بن حمزة الجواد بن سليمان الرضي بن حمزة النجيب بن علي العالم بن حمزة النفس الزكية بن أبي هاشم الحسن الإمام الرضا بن عبد الرحمن الفاضل بن يحيى نجم آل الرسول بن عبد الله العالم بن الحسين الحافظ بن القاسم ترجمان الدين بن إبراهيم الغمر بن إسماعيل الديباج بن إبراهيم الشبه بن الحسن الرضا بن الحسن السبط بن علي الوصي أمير المؤمنين بن أبي طالب عليهم صلوات ربّ العالمين.

مولده ونشأته

مولده عَلَيْهِ السَّلاَمُ لتسع ليال بقين من شهر ربيع الآخر – أي في ليلة الحادي والعشرين– سنة (٥٦١)هـ، بقرية «عيشان» من ظاهر همدان.

والده هو السيد الإمام، جامع خصال الفضل والكمال بالتمام، الأمير المحتسب نفسه في طاعة الرحمان، حمزة بن سليمان، كان المرجى في أيامه، لتحمل أعباء الزعامة، والقيام بشؤون الإمامة.

وأمه الشريفة الفاضلة زينب بنت إبراهيم بن سليمان.

نشأ عَلَيْهِ السَّلاَمُ وتربى في حجور الطاهرات، ونشأ مقتدياً بالأخيار من الآباء والأمهات، في حجر والده حمزة بن سليمان الذي كان من فضلاء أهل البيت في عصره، نشأ في بيت العلم والزهد والورع والعبادة والكرم والشجاعة، فأخذ من ذلك الضياء قَبَساً، ومن تلك المكارم غرساً، مع ما وهب الله له من مواهبه السنية، وعطاياه الهنية، من الفطنة والذكاء، والحفظ والتقى، لم يشتغل في صباه باللعب، ولم يمل إلى اللهو والطرب.

قال في الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور:

لم يسمع من صغره إلى منتهى إدراكه، من ينطق بقبيح، أو يلفظ بفحش، ولا يتعود عائدة ذميمة، ولا يصغي إلى لهو، ولا يغفل عن أداء فريضة، فسلك منهاج آبائه، ونشأ على العفة والطهارة من البداية إلى النهاية.

إلى قوله: وروي عن الشريف إبراهيم بن يحيى الحمزي ما عرفت من عبد الله بن حمزة اشتغالاً في حال صغره بشيء من اللعب كسائر الصبيان.

وعن الشريف الفاضل قاسم بن يحيى الحمزي: ما رأيت أحسن من عبد الله بن حمزة تربية، ولا أشرف منه نفساً، ولا أسمح يداً، من حال الصغر، وما طرب قط للعب، ولا اشتغل بحديث فيما لا يعنيه.

قال: وكان حمزة بن سليمان قد هذب أولاده ورباهم على الطهارة والعفة والمرابطة على التعليم والدراسة، فكان لعبد الله ابنه التبريز عليهم في ذلك، وكانوا يعترفون بفضله، ولما ختم القرآن قرأ في اللغة والنحو وبلغ فيه مبلغاً عظيماً قصر عنه أهل العلم بهما، وكان يكالم من يغشاهم ممن ينتحل الدين، ويورد عليهم المسائل، فيظهر فضله وقصورهم عن مقاومته.

قال: ولقد سمعته يقسم: ما قعدت في مجلس فيه لغو، ولا خاض فيما يستغنى

عنه، حتى أن من يحب البطالة يصرف الناس عنه لأجل ذلك، حتى ضاق عليه الحال، فانتقل عنهم. وأنشأ في مثل ذلك الشعر الرآئي ثلاثين بيتاً. انتهى.

صفته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ

كان عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ طويل القامة، تام الخلق، دُرِّي اللون، حديد البصر حدة مفرطة، أبلج [نقاوة بين الحاجبين] كث اللحية، كأن شيبها قصب الفضة، صادق الحدس، قوي الفراسة، كثير الحفظ، فصحياً بليغاً، شاعراً مفلقاً، شجاعاً بطلاً، يخوض غمرات الحتوف، ويضرب بسيفه بين الصفوف، وقائعه تشهد بشجاعته، ومواقفه تبين صدق بسالته، يقذف بنفسه في مقدمات الحروب، وترجف لهيبته القلوب، شأنه شأن آباءه المطهرين، وسلفه الأكرمين، في نشر الدين، وإطفاء بدع المبتدعين.

طهارة نشأته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ

قال في الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور:

أما زهده وورعه عليه السلام: فمعروف في سيرته، مشهور من شيمته، يعرفه من خالطه واتصل به من حال الصغر إلى الكبر، وأنه كان كثير الصبر على مضض العيش، مدمناً على الصوم والقيام، وما لمس حراماً متعمداً، ولا أكله ولا رضي أكله، وكان يغشى مجالس العلم، ويقتات الشيء اليسير الزهيد، ويؤثر على نفسه الوافدين إليه، والضعفاء والمساكين والغرباء.

وكتب عليه السلام إلى أهل المغرب من خولان حيدان كتاباً من جملته، قال فيه:

والله ما رأيت خمراً بعيني في يقظة ولا منام، ولا الملاهي من الطنابير وما شاكلها حتى ظهرت على الجبارين من الغز، وأمرت بكسرها وإراقة خمورها، ولا فعلت قبيحاً

متعمداً من الصغر إلى هذه الغاية من الكبر، ولا أكلت حبة حراماً أعلمها، ولا قبضت درهماً حراماً أعلمه، ولا تركت واجباً متعمداً، وإني لمعروف النشأة بالطهارة، ما كان لي شغل إلا التعليم والدراسة والعبادة، ثم انتقلتُ بعد ذلك إلى الجهاد في سبيل الله فحاربت الظالمين قبل أن أقص شاربي، بعلم الخاص والعام.

ولقد أتى قوم كثير بشيء من البر وفي جملتهم رجل سلم إليَّ ديناراً فخلطه في جملة دنانير، فسأله عن الدينار على جاري عادته، فأخبره أنه زكاة فسلم جميع الدنانير إلى متولي قبض بيت المال، ولم يأخذ منها شيئاً لنفسه بعد ذلك.

ومقاماته في الرأفة والرحمة والعدل والزهد في الدنيا وإيثار الآخرة أشهر من شمس النهار، يتناقله الأخيار، ويرويه الأبرار في محال الأخبار. وقد نقل بعض هذا الكلام الحسين بن ناصر المهلا في مطمح الآمال.

مشائخه عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أخذ الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ العلم والمعرفة عن علماء عصره، فمنهم:.

والده عالم أهل البيت في عصره حمزة بن سليمان عَلَيْهِ السَّلاَمُ في علوم القرآن وغيرها.

ثم ارتحل للقراءة على علامة اليمن أبي الحسن، الحسن بن محمد الرصاص، فقرأ عليه في الأصولين والأدب وغيرها، حتى فاق الأقران، وأربى على أهل الزمان، وكان له من الجد والنشاط والهمة العالية في طلب العلم ما لم يكن لغيره من أبناء عصره، حتى بلغ في العلوم مبلغاً تحتار فيه الأفكار، وتقصر عنه علوم أولي العلم في جميع الأعصار، وسار بذكره الركبان في جميع الأمصار.

وقد روى الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ في أسانيده المباركة، التي عليها مدار

أسانيد العترة علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ، وهي قطب رحاها، وواسطة عقدها، فروى البعض بالقراءة، والبعض بالإجازة العامة:-

عن شيخه الحسن بن محمد الرصاص - رحمه الله تعالى -.

وعن الفقيه العلامة محمد بن أحمد بن الوليد القرشي.

وعن الفقيه العلامة علي بن الحسن بن المبارك الأكوع.

وعن الفقيه العلامة حنظلة بن الحسن الشيباني الصنعاني.

وعن الأمير الأجل بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ.

وعن الفقيه العلامة الزاهد أحمد بن الحسين بن المبارك الأكوع.

وعن الأمير الكبير شمس الدين الداعي إلى الله يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ.

فحفظ الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ علوم آبائه، وعلوم الأمة حتى صار العَلَم المشار إليه، والكهف المرجوع في المشكلات إليه، فذاع صيته في الآفاق، وامتدت إليه الأعناق.

الفترة الزمنية التي عاشها عليه السلام في نشأته

وكانت الفترة الزمنية التي يعيش فيها الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ أيام قراءته، من أشد الفترات الزمنية التي عاشها اليمن؛ حيث اشتدت فيه الفتن، وتأججت نيرانها وحصلت الاضطرابات في داخل أوساط أهل اليمن، وتفرقوا أحزاباً، حتى خمد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وانتشر الفساد حتى كاد يعم جميع اليمن.

ومن المعلوم أن اليمن ذات أهمية بالغة من الناحية التضاريسية، فهي تتمتع بجبالها الحصينة، وأرضها الخصبة، ومياهها العذبة.

ومن الناحية التاريخية: فهي مشهورة بشخصياتها ورجالها الذين خلدوا أسمائهم، ونقشوا سيرهم على صفحات التاريخ القديم والحديث، وأهلها أهل نجدة وشجاعة وبسالة ووفاء.

ومن الناحية الدينية: فهي من أوائل القبائل العربية دخولاً في الإسلام، وتمسكاً بأهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ.

وغير ذلك من المقومات الدينية والدنيوية والمعيشية في اليمن.

وكانت تلك الفترة فترة منافسة بين الدول العظمى والدويلات القائمة في اليمن.

فالدولة الأيوبية «الغز» كانت قد بسطت نفوذها في اليمن، وانتشر الفساد، فشربت الخمور، ونكحت الذكور، وعملت أعمال الفجور.

أما بالنسبة لما يدور في داخل الساحة اليمنية فكما قال المؤرخ الشامي في تاريخ اليمن الفكري (٣/٢٢):

كانت حسب أقول المؤرخين قد تمزقت إلى مشيخات ودويلات، فعدن وتعز إلى آل زريع، وذمار ومخاليفها لسلاطين جنب ومشائخها، وصنعاء وأعمالها إلى حدود الأهنوم يحكمها السلطان علي بن حاتم اليامي، وآل دعام يسيطرون على الجوف، وشهارة وما صاقبها لأولاد الإمام العياني، والجديب والشرف لسلاطين حجور، وتهامة اليمن للأشراف، وزبيد إلى بلاد حرض يملكها عبد النبي بن مهدي، وأصبحت كما قال الشاعر:

وتفرقوا فرقاً فكل قبيلةٍ فيها أمير المؤمنين ومنبر

انتهى.

والذي سَنَّى لهذه الدويلات التكاثر والتفرق هو خمود صوت الإمامة الزيدية في اليمن، فمن سنة (٥٦٦)هـ، العام الذي توفى فيه الإمام أحمد بن سليمان عليه

السلام إلى سنة (٥٨٣)هـ، العام الذي فيه كانت دعوة الإمام المنصور بالله للإحتساب، لم يظهر إمام يضبط الأمور، ويقود الجمهور.

الإرهاصات المبشرة بالإمام المنصور بالله

الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ كانت تلوح في جبينه مخائل الإمامة، وتظهر على وجهه ملامح الزعامة، فالأمة بحاجة إلى قائد يقودها، ويطهر بالسيف أوزارها، ولقد كانت الإرهاصات والتفاؤلات تشير إلى أن الفتى الذي فاق أقرانه هو الذي سيصير إمام الأمة، ومن تلك الإرهاصات ما يلي:

أولاً: ما حكاه مؤلفو سيرته من أنه لما ولد عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ازداد ضوء الصباح، وعلا علواً جاوز المعتاد، حتى بلغ دوين السقف، واستقام على ذلك[(١)].

ثانياً: أن والده حمزة بن سليمان عَلَيْهِ السَّلاَمُ رأى أنه ظهر منه نورٌ ملأ الأرض كلها فعبره على جدة له شريفة فاضلة اسمها سيدة بنت عبد الله القاسمي وكانت مؤمنة تقية حافظة للقرآن، فقالت: أكتمه، فقد قيل إنه لا بد أن يظهر منك أو من أبيك المنصورُ، أو من يدل عليه. ثم عبر رؤياه على رجل من أهل صنعاء، وهو يتعجب منها، فلما استكملها قال: أبشر يا حمزة بإمام من ذريتك [(٢)].

ثالثاً: ما روي أنه أتى قوم من بني صريم إلى حَمزة بن سليمان يطلبون منه القيام والمدافعة عنهم من علي بن حاتم بن أحمد اليامي لما ملك أرضهم فقال: لا فرج لكم

---

(١) الدر المنثور –خ–، الحدائق الوردية (٢/، التحفة العنبرية –خ–، الترجمان –خ–، اللآلئ المضيئة –خ–، الزحيف –خ– وغيرها.

(٢) نفس المصادر المتقدمة.

على يدي؛ وإنما فرجكم على يدي هذا الصبي[٣].

وغير ذلك من الإرهاصات والإشارات الهادية المبينة لفضل الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.

الأخبار الدالة على فضل الإمام عليه السلام

مع ما روي من الآثار والملاحم التي تبشر بالإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وتشرح حال الزمن الذي يعيش فيه، ولنذكر بعضاً منها ليدل على ما سواه.

فمن ذلك: ما روي عن النبي صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه قال لفاطمة عَلَيْهَا الْسَّلاَمُ: «يا فاطمة، منك الهادي والمهدي والمنصور»[٤].

ومن ذلك: ما روى مصنف سيرته وهو علي بن نشوان بن الأمير الفاضل بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى، قال: وجدت في كتاب قديم قد كاد يتلف من البلا، وله مائة وعشرون سنة إلى وقت قيام الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ كلاماً في ذكر قيام القائم المنصور بالله في سنة (٩٣) ثلاث وتسعين. قال: ثم يظهر القائم المنصور في سنة (٥٩٣)هـ[٥].

ومن ذلك: ما رواه مصنف سيرته أيضاً عن الشريف الفاضل سليمان بن زيد بن

---

[٣] نفس المصادر.

[٤] رواه القاضي عبد الله بن زيد العنسي في الإرشاد، وفي الرسالة البديعة المعلنة بفضائل الشيعة.

[٥] الحدائق، اللآلئ المضيئة -خ-.

عبد الله بن جعفر، قال: وجدت في رواية صحيحة عن محمد بن الحنفية في شعره:.

وديعــة عنــدي لآل محمــد أودعتُهــا وجُعلــت مــن أمنائهــا
فـإذا رأيـت الكـوكبين تناوحـا في الجدي عند صباحها ومسائها
فهنـاك يـدو عـز آل محمـد وظهورهـا بالنصـر فـي أعـدائها[٦]

ومن ذلك: ما روى الفقيه حميد الشهيد في الحدائق، وهو من المعاصرين للإمام ومن أنصاره قال: نقلت من أبيات قصيدة قديمة ذكر فيها صاحبها الخوارج، ثم ذكر صفات الغز التي شوهدت عياناً ثم ذكر القائم بالحق فقال:

أهــل فســق ولــواط ظــاهر أهـل تعـذيب وضـرب بالخشـب
كفــروا بالــدين ثــم اشــتغلوا بفــراغ النــاس حبــاً للــذهب
يتركــون الفــرض والســنة لا يعرفــون الله ليســوا بعــرب
فهــم كــالجن مــن أبصــرهم طــار رعبــاً ثــم خوفــاً وهــرب
ينقلـون المـال مـن أرض سـبأ نحــو مصــر ودمشــق وحلــب
فـإذا مـا النـاس ضـاقوا منهم في بسيط الأرض طراً والحدب
ظهــر القــائم مــن أرض ســبأ يمنــي الســكن شــامي النســب
اسمه باسم أبي الطهر النبي ذاك عبــد الله كشــاف الكــرب
يمــلأ الأقطــار عــدلاً مثلمــا ملئـت جـوراً وهـذا قـد غلـب
تظهــر الخيــرات فــي أيامــه ويـرى الباطـل فيـه قـد هـرب
وتــرى الأشــيب فــي أيامــه يتمنــى كــل يــوم أن يَشِــبّ[٧]

---

(٦) الحدائق، اللآلئ المضيئة، التحفة العنبرية وغيرها.

(٧) الحدائق، اللآلئ المضيئة، التحفة العنبرية وغيرها.

قال في الحدائق: ومن تأمل هذه الصفات تحقق ما قلناه ؛ لأن هذه الصفات المذكورة هي الموجودة في الغز بالمشاهدة، ولم يقم الإمام إلا بعد أن أصاب الناس البلاء الشديد في سهول الأرض وحزونها من هؤلاء الأعاجم، وقوله (ظهر القائم من أرض سبأ) لأن الإمام المنصور بالله تعالى كان خروجه من ناحية الجوف وهو يمني السكن شامي النسب ؛ لأن جده أبا هاشم الحسن بن عبد الرحمن عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وصل من الحجاز إلى اليمن، ثم صرح بعد ذلك باسمه، وهو عبد الله.

ولم يعلم أن أحداً من أئمتنا علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ إلى الآن على هذه الصفات، ثم ذكر ظهور الخيرات في أيامه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وذلك ظاهر.. إلخ كلامه، انتهى.

المنامات الصالحة

وأما المنامات الصادقة، التي رآها الصالحون وتحقق وقوعها فهي كثيرة جداً، روى كثيراً منها في الدر المنثور في فضائل الإمام المنصور، نذكر منها بعضاً:

منها: ما ذكره الشريف الفاضل سليمان بن حمزة الحسني السراجي قال: رأيت وأنا عند الفقيه الأجل سليمان بن ناصر رحمه الله بالمنام أن قائلاً يقول: أبشر بقيام الإمام المنصور عليه السلام، قال: ثم رأيت وأنا بالضيعات داعياً يدعو أن أجب الإمام عبد الله بن حمزة، وذلك قبل قيامه بأربع سنين، فظهرت وإذا الجيش قد ملأ المحفد من جبل الريد إلى وردان، والإمام عبد الله بن حمزة في ذلك الجيش، فناولني اللواء، وأمرني بالقتال في سبيل الله.

ومنها: ما رآه الفقيه العلامة علي بن أحمد الأكوع قبل قيام الإمام المنصور بالله عليه السلام، وهي رؤيا طويلة، ومعها رؤى أخرى غيرها تبشر بقيام الإمام، وفيها ما يحث على وجوب نصره، والتحريج في التواني عنه.

ومنها: ما رواه الشريف الفاضل إبراهيم بن حميدان القاسمي قال: كنت شاكاً في أمر الإمام عليه السلام، مخطئاً له في أفعاله، وأنا أُسر ذلك من العوام، وأظهره على من أثق به، وأنا أظن أني مصيب، فرأيت في المنام ذات ليلة شخصاً ينشد هذه الأبيات بصوت حسن:

الحمد لله عز الدين وارتفعا ... ونصر آل رسول الله قد طلعا
والأرض معشبة من بعد ما ملحت ... وراح عن جانبيها الظلم وانقشعا
وذا بعبد الإله الطهر مالكنا ... العالم العلم العلامة الورعا
فيال آل علي آل فاطمة ... يا آل هاشم يا للمسلمين معا
أُوبوا إليه معاً من كل ناحية ... بالصافنات وخلوا الكبر والطمعا

قال الشريف المذكور: فتبت إلى الله تعالى مما كنت عليه، وعلمت أني قد أخطأت، وظلمت نفسي.

ومنها: ما رواه علي بن نشوان عن إسحاق بن علي الحميري أنه رأى في المنام رجلاً بيده كتاب مكتوب فيه هذه الأبيات وهي:

الله أكبر هذا سيد البدر ... بعد النبي وهذا أفضل البشر
هذا ابن حيدرة هذا ابن فاطمة ... هذا الذي جاء في التنزيل والسور
هذا الذي وعد الله الأنام به ... يحيى الهدى كحياة الأرض بالمطر
هذا الذي كانت الأخبار من قِدَمٍ ... فيه وليس عيان الخبر كالخبر
صلوا على شخصه يا حاضرين معا ... صلوا على صورة من أشرف الصور
الله ناصره جلَّت جلالته ... من عالم فاتح بالنصر مقتدر
قد قال في سورة الفرقان ما سمعت ... آذانكم ثم في طس والزمر
أيضاً وفي آية الكرسي فاستمعوا ... لقوله يا ذوي الأديان والفكر

وغيرها كثير، فهذه مما رواها ونقلها معاصروه، وهم أهل الثقة والأمانة والعدالة،

والصدق في الرواية.

مع ما كان عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ يتحلى به من الصفات الكاملة التي تؤهله لمنصب الإمامة، وتحمل أعباء الزعامة، من العلم والورع والشجاعة والكرم والعبادة وحسن التدبير، التي فاق فيها أرباب عصره، وعلماء دهره.

علمه وفضله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ

إن من أوضح الأدلة والحقائق على علم الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وبلوغه فيه أقصى الغايات، وخوضه في فنونه في بحار الدرايات، ما خلفه لنا من الثروة العلمية، من المؤلفات العظيمة التي أغنت المكتبة الإسلامية في شتى فنون العلم في الأصول والفروع والتاريخ والتربية والأشعار وغيرها.

فلسنا بحاجة إلى الاستدلال على هذا الجانب فمؤلفاته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ تنيف على خمسين مؤلفاً كما ستعرف ذلك إن شاء الله تعالى.

التي منها الشافي، والرسالة الناصحة، وصفوة الاختيار، والشفافة، وغيرها.

وشهادة علماء عصره ومن بعدهم له عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بنهاية التقدم في فنون العلم والمعرفة.

وتسليم الأميرين الداعيين بدر الدين وشمس الدين يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى الإمامة له والبيعة والجهاد له مع تقدمهما دليل واضح على ذلك.

قال في الدر المنثور:

وأما الفضل: فما هو معلوم من إجماع كبار العلماء وأهل الفضل من أهل البيت عليهم السلام على تفضيله والإعتراف له بالتبريز في كل فن من فنون العلم والزهد والورع، ومن اجتمعت فيه هذه الخصال فهو الفاضل بلا خلاف بين أهل العلم،

وقد أجمع على ذلك كبار العترة كالأميرين الأجلين الداعيين إلى الله سبحانه شمس الدين وبدره يحيى ومحمد ابني أحمد بن يحيى بن يحيى بن الهادي عليهم السلام، والأمير الأجل محمد بن فليتة بن القاسم، والأمير الأجل السيد يحيى بن علي بن فليتة السليماني.

ثم ذكر جماعة ممن سلموا واعترفوا للإمام المنصور بالله منهم الأمير العفيف محمد بن المفضل، وأبو الفتح بن محمد العلوي العباسي، وغيرهم من العلماء والفقهاء والمسلمين الذين اعترفوا بفضله ونطقوا بإمامته وأظهروا اعتقاد ذلك.

وأجوبته على المسائل الواردة عليه تبين بلوغه الذروة العليا في العلوم، فلم يبقَ فن إلا طار فيه أرجائه، وسبح في أثنائه.

قال في الدر المنثور: وأما علمه عليه السلام: فإنه لما بلغ الرتبة العالية، والمنزلة السنية، وانتشر ذكره عند الخاص والعام، واشتهر بالعلم وعرف مكانه، كاتبه العلماء والفقهاء، وشاعره الفصحاء والبلغاء، فأجاب كل سائل، وصنف التصانيف في علم الكلام وأصول الفقه وفروعه، منها ما صنفه أيام درسه قبل بلوغ عشرين سنة من مولده، ومنها ما صنفه بعد ذلك، ثم عدد بعض مؤلفات الإمام عليه السلام إلى قوله:

ومن ذلك أيضاً: ما وقع من الإمتحان الشديد له قبل قيامه بأمر الإمامة من جماعة العلماء والأمراء في كل فن، وتعدادهم وذكر أسمائهم مذكور في السيرة، حتى أن الذي اختص بالسؤال في ذلك المقام من الشيخ العالم محيي الدين محمد بن أحمد النجراني رحمه الله خمسة آلاف مسألة في الأصول والفروع وعلوم القرآن والأخبار، فدع ما سواه، وأجابه الإمام عليه السلام عن جميع ذلك بأحسن جواب، فلما رأى الجميع ما بهرهم من أجوبته لهم عما سألوا عنه في الليل والنهار، وأحصوا أنه يحفظ من الأحاديث المسندة إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم سبعة آلاف حديث،

وحسبوا جميع مسموعاته في وقت قيامه وأحصوا منها إحدى عشر ألف خبر، وأما التي إلى وقت وفاته عليه السلام فلعلها تبلغ خمسين ألفاً، وأما ما يرويه إجازة فلعلها خمسين ألفاً أخرى.

قال في السيرة: وله مع ذلك حفظ القصص المتقدمة، والسير ومغازي النبي عليه الصلاة والسلام وآله وحروبه وفتوحه وسيرته، ومعرفة أصحابه وأنسابهم وقصصهم وأخبارهم، وسيرة الخلفاء بعده وأخبارهم والتابعين وروايتهم عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم ما يجل ويعظم.

شعره عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أما فصاحة الإمام وبلاغته: فذلك ظاهر في مؤلفاته وقصائده الشعرية، فقد كان له في الشعر باع طويل، فقد كان عَلَيْهِ السَّلاَمُ كما قيل:(أفصح الفاطميين) ولعله لم يكن لإمام من أهل البيت عليهِمُ السَّلاَمُ ما كان له من القدرة على نظم الشعر على جميع أبوابه وأوزانه.

ويعتبر شعره عَلَيْهِ السَّلاَمُ دراسة كاملة وشاملة لسيرته ولما وقع فيها من الأحداث والحروب وغيرها، قال المؤرخ الشامي: الإمام عبد الله بن حمزة شاعر مفلق، وشعره جزل التراكيب، فخم الألفاظ، مطرز بالغريب، وعليه جلال الواثق بنفسه، المتباهي بحسبه ونسبه، وعلمه وأدبه، ومسحة بدوية تحلقه أحياناً بشعراء ما قبل الإسلام – إلى قوله:

وقد اتخذ الإمام عبد الله بن حمزة من العشر عصا يتوكأ عليها في معاركه الحربية السياسية والمذهبية، ويهش بها على ملوك وسلاطين عصره، وليس هناك من حادثة وقعت له ولا من أمر مارسه، أو كارثة نابته، أو وجد انفل إلا وسجله شعراً، ولذلك فهو يعد من المكثرين لا بين شعراء أئمة اليمن – وجلهم كانوا كذلك – بل بين

شعراء اليمن عموماً. انتهى.

بل إن الذي يقرأ ويطلع على ديوان الإمام عليه السلام تبهره قدرة الإمام الشعرية، فقد دون أكثر الأحداث في حياته بنفسه عن طريق الشعر، وكأنه صار مطبوعاً عليه، بل إن الذي لم يطلع على شيء من كتب الإمام وعلومه المدونة غير الديوان يتبادر إلى ذهنه أن الإمام لم يكن إلا شاعراً فقط، ولا يحسن غير الشعر، لأن القارئ عندما يتأمل الألفاظ والكلمات، وانتقاء العبارات في القصائد، يرى في نفسه صعوبة فهم الأكثر منها، لا سيما والإمام عليه السلام كثيراً ما يشتت على السامع أو القارئ فهم المعنى، لحيث أن الكلمة له معان متعددة، وقد تكون في ذلك الموضع صالحة لأكثر من معنى، فيحتاج المطلع إلى الربط بين الأبيات المتقدمة والمتأخرة في القصيدة حتى يفهم مراد الإمام عليه السلام.

وهذا واضح في ديوانه عليه السلام الذي بين يديك (**مطالع الأنوار ومشارق الشموش والأقمار**) كما سنتحدث عن ذلك فيما بعد إن شاء الله تعالى.

دعوتا الإمام عليه السلام الصغرى والكبرى

الدعوة الأولى: دعوة الاحتساب (الإمامة الصغرى)

تقدم وصف الحال التي يعيشها اليمن قبل قيام الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وانتصابه للأمر، وكانت اليمن عموماً والزيدية خصوصاً تعيش حالة انتظار للرجل المؤهل للقيام بالأمر المهم، وتخليص اليمن وأهله مما هو فيه من الفتن، فإذا بصوت الإمامة الحيّة بدأ يدب في روح الجسد الزيدي ليعود إلى الدفاع عن دين الله، وتجديد شرائع الله، وإقامة الحدود، ونصر المستضعفين، فإذا بالشاب الذي طال ما امتدت إليه الأعناق، وشاع صيته في الآفاق الذي لم يزل في الثانية والعشرين من عمره، وقد حاز علوم الاجتهاد، وحفظ علوم الآباء والأجداد، يقوم بدعاء الناس إلى طاعة الله تعالى وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وجهاد الظالمين وإظهار كلمة الحق ورفع الفساد، وذلك في سنة (٥٨٣)هـ، فأجابه أهل الجوفين كافة، فبايعهم «للرضى من آل محمد»، لأنه كان طامعاً في قيام الأمير الكبير شمس الدين شيخ آل الرسول يحي بن أحمد؛ بل كل الخلق طامعون فيه، وكان الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ حريصاً مجتهداً على أن يكون من أنصاره، فهذه هي الدعوة الأولى الخاصة التي قام بها عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ احتساباً وانتظاراً لقائم الآل.

الإمام (ع) والأميرين

وفي أثناء ذلك دارت المكاتبات والرسائل بين الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ والأميرين الكبيرين يَحيَ ومحمد ابني أحمد بن يحيي بن يحيى، وأرسل الإمام عليه السلام إلى

الأمير شمس الدين بقصائد يحثه على القيام بالإمامة، ويعده بالقيام معه، والنصرة له، وإجابة دعوته، وقد تضمن هذا الديوان تلك القصائد التي أرسل بها الإمام إليهما.

ثم نهض الإمام متوجهاً إلى صعدة في مقدار مائة فارس ورجل كثير، فلقيه الأميران في الحقل في جمع كثير من خولان وبني جماعة والأبقور وبني حي ووعظهم، وكان الناس ينتظرون قيام الأمير الكبير يحيى، فدارت مراجعة عرض فيها الأمير الكبير على الإمام البيعة فكره ذلك واستعظمه وقال:((إنما أردت حياة الدين وكرهت إهمال الأمة، وأنت العمدة والقدوة، وكبير أهل البيت الشريف، فإن علمت عذراً يُحِل منك عند الله سبحانه فأنا بذلك أولى لأنك أكبر أهل البيت علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ))، وجرى بذلك خطاب طويل، وكان قصد الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بالحركة في الجوف لينتظم للدين أعوان، وكان يعتقد أنه إذا وصل بأولئك القوم إلى الأمير الكبير ساعده على تقلد الأمر، والقيام به عندما يجد له أنصاراً.

ثم رجع الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ إلى الجوف، فأصلح الأمور وساس الجمهور ولكنه لم يتشدد التشدد الأول.

أهم الأحداث في وقت الاحتساب

قام الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بكثير من الأعمال والحروب في حال الاحتساب، وسنذكر بعضاً منها على وجه الاختصار لتدل على ما سواها.

أولاً:- مع السلاطين بني حاتم

كان السلاطين بنو حاتم قد سيطروا على جزء من أرض اليمن، وحكموا صنعاء وأعمالها إلى حدود بلاد الأهنوم، وكان لهم قوة وتمكن وبسطة ونفوذ، لمكانتهم بين القبائل اليمنية، وكان لهم بعض ميول إلى أهل البيت، فلما ظهر الإمام المنصور بالله عليه السلام كان بينهم وبينه مراسلات ومكاتبات، وأمور يطول شرحها، ومما وقع بينهم من الحروب وقعة ميتك:

وقعة ميتك:-

أـ بداية التوجه إلى ميتك[٨]:

كان السلطان علي بن حاتم اليامي قد بسط نفوذه في اليمن واستولى على ميتك وكبارها، فسلموا له حصن جرع، ورهنوا أولادهم على الطاعة له، وكان هنالك من كبار الأشراف بني حمزة، الشريف الفاضل محمد بن الناصر، والشريف الفاضل إبراهيم بن يحيى، والقاضي الأجل شريف الدين إبراهيم بن أحمد، واجتمع إليه من أهل البيت وأهل الدين جماعة فاشتوروا في أمرهم وما قد دَهَمَ بلادهم، وبلغهم

(٨) ميتك: هي المعروفة الآن بحجور ظليمة شمال غرب عمران.

التوعد بخراب هجرتهم وأخذ أموالهم.

فاجتمع رأيهم على مكاتبة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، فكاتبوه وسألوه الوصول إليهم ليدفع عنهم، فاعتذر إليهم، فلم تزل كتبهم إليه في رجب وشعبان ورمضان من سنة (٥٨٣)هـ، فاعتذر، فلم يعذروه، وكان الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ إذ ذاك في شوابة[٩]، فنهض عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في جماعة من أصحابه وهم صنوه الأمير يحيى بن حمزة، وابن عمه صفي الدين محمد بن إبراهيم فارسان وأربعة عشر رجلاً.

فبلغ خبر خروجه إلى صنعاء فبثوا عليه العيون والأرصاد، فقال له أصحابه وشيوخ البكيليين: (بق علينا وعلى نفسك فلا طاقة لنا بالقوم)، فساعدهم بالكره وعاد إلى شوابة، وكتم أمره.

وجعل له عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ كلَّ يوم عادة بأن يخرج إلى ظاهر البلد بأصحابه ومعهم السلاح، فركب على العادة قبل عيد رمضان بيوم وقد أعد ما يحتاجون إليه من الزاد، وكان ركوبه وقت الظهر، فأمر أصحابه بالمسير، فارتاعوا وسألوه: أين تريد؟ فقال: ((أريد ميتك إن شاء الله)).

فساروا لا طريق لهم إلا وسط همدان على رغم ما عليه من المراقبة من الأرصاد والعيون، فوصلوا إلى قريب ريدة فصلوا المغرب والعشاء، ثم ساقوا سوقاً عظيماً، وأمر أصحابه بالتفرق عنه لكي لا ينكر حاله، فمر بالجنّات، ثم أتى قاعة والليل مُرخ سدوله، ووصل قرية الأشمور[١٠]وقت الفجر فصادف طائفة من جند الظلمة يريدون

---

[٩] شوابة: بلد معروف من أعمال ذي بين في بلاد بكيل.

[١٠] الأشمور: ناحية مشهورة، في الغرب الشمالي من صنعاء على مسافة يومين متصلة بجبال المصانع.

كوكبان في مكان ضيق بين جبلين، فظنهم مرصدين له فأمر أصحابه بالحزم ووطنهم على القتال، فلم تتعرض لهم تلك الطائفة، فوصلوا إلى هِجرة (ينـد) قبل طلوع الشمس، فتلقاهم الشرفاء أولاد يحيى بن الحسين عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بالإكرام وأقام الإمام عندهم ثلاثة أيام.

ب: وصول الإمام ميتك والكرامة التي حصلت له:

ثم أتاه الشريف إبراهيم بن يحيى يستنهضه في الخروج إلى ميتك، فنهض معه، فوصل ميتك لثلاث خلون من شوال من سنة (٥٨٣)هـ.

فوصل إليه الشريف محمد بن الناصر في جماعة من المسلمين وكبار المرهبيين والظفاريين والهوسيين فسلموا عليه، وذكروا حكاية متقدمة عن آبائهم وهي [أن صاحب الحق يطلع من وادي شرس[١١] في سبعة نفر] وكان عدة أصحابه سبعة نفر، والبقية مضوا من طريق أخرى، فعجب الجميع من ذلك.

ثم طلع الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ إلى (صبرة) في موكب عظيم وأقام بها سبعة أيام.

فلما كان يوم الخميس نهض إلى (الفاضلة) [١٢] بجبل بني صبارة، وحصن (مدع) [١٣] في يد السلطان علي بن حاتم.

فلما اجتمع الناس وعظهم وحثهم على الجهاد وأمرهم بالصبر، وواعدهم لليوم الثاني، وقرب من الحصن إلى موضع يسمى (المرقب).

---

[١١] شرس: بفتح الشين وكسر الراء، واد في بلاد حجّة.

[١٢] صبرة: قرية من عزلة بني موهب، ناحية كحلان عفار.

[١٣] مُدع – بضم الميم –: قرية من عزلة المصانع، ناحية ثلا.

ج: تفصيل الوقعة:

فلما كان اليوم الثاني وهو يوم الجمعة الذي واعدهم الإمام فيه أمر بالصارخ في مخاليف ميتك فأقبلوا إليه، فوعظهم وحضهم على القتال والجهاد، فأمر الأمير إبراهيم بن يحيى بالتقدم في طائفة من العسكر إلى قلعة بني حماد، والأمير يحيى بن حمزة كان قد لزم قلعة المكرم، فلما توافى الناس أمرهم بالقتال فأحاطوا بالحصن من كل جانب، وكان فيه عدة وافرة من أهل الديوان، وأهل البلد الراغبين في تقوية الظلم، وجاءتهم مادة من (قرن شاور) فمنعهم الأمير إبراهيم ومن معه وردهم على أعقابهم، واشتد القتال إلى نصف النهار، وكثرت الجراحات في أهل الحصن، فطلع عليهم منصور عبد الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وكان غلاماً جيد الرمي لا يكاد يخطئ ولم يزل القتال إلى الليل، فلما كان بكرة يوم السبت نهض الإمام بنفسه فلما رأوه أعلنوا بالتهليل وسألوه الأمان فأمر إليهم براية، وأراد أهل البلاد قتلهم فمنعهم من ذلك الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، ودخل الإمام عليهم الحصن وحده ومعه خادم له، وهم سبعون رجلاً الذين بقوا في الحصن، فبايعه أهل الحصن ومَنَّ عليهم وأخرجهم بسلاحهم، فلما ملك الإمام الحصن واستقر أمره فيه قال لأهله: ((قد ملكت هذا الحصن ولكم فيه العمارة ولست أقيم فيه إلا بإذنكم، فإن أذنتم وإلا خرجت)). فقالوا بأجمعهم: ((رضينا، أزلت منا الخوف وأمنتنا من الحرب)) فأقام في الحصن سنتين وثلاثة أشهر يحارب الظالمين، وسار في البلاد سيرة حسنة، وأمنوا على أنفسهم وأموالهم ووجدوا راحة العدل والإنصاف.

د: الإمام مع السلطان علي بن حاتم:

ووقع الصلح بين الإمام وبين السلطان علي بن حاتم في شهر ذي القعدة على يد

الشريف يحيى بن عبد الله بن سليمان فأقام السلطان على ذلك مدة، ثم جمع جمعاً عظيماً ونقض الصلح، وأثار الحرب.

فأمر الإمام أخاه الأمير يحيى بن حمزة إلى بلاد بني عشب والأميرين الفاضلين محمد بن الناصر ومحمد بن إبراهيم إلى كحلان، وهو حصين منيع جداً وفيه رتبة للسلطان.

فلما أصبح نهض الأميران بمن معهما ووقع الحرب وصرخ الصارخ في ميتك، فلما توافت الجنود طلعوا عليهم الحصن على عيدان في مراس صعبة، فلما رأى الإمام استظهار أصحابه على الحصن أمرهم بأن يؤمنوا أهل الحصن لأنه كان يحب العفو عند المقدرة، فملك الإمام الحصن وبلاد بني عشب، فبلغ ذلك السلطان علي بن حاتم فعاود بعسكره، وطلع الإمام إلى الرويس فأقام بها عدة أشهر والحرب قائمة، وكان يأمر أصحابه أن لا يخربوا حجراً، ولا يغيروا على أحد، وإذا أخذوا شيئاً من بلد رده لأهله، ثم نزل ميتك واستمرت الحرب بينه وبين السلطان وكانت الرتب والمواد بالأموال متواترة إلى الشاهل والقتال مستمر، وكلّت العشائر وملّت ولم يبق قائم بالحرب إلا الأشراف الحمزيين والأمير يحيى بن حمزة ومحمد بن إبراهيم فصبروا حتى فسد بنو عشب على الإمام، وخرج السلطان من كوكبان في عسكر كثير ولقيه سلطان مسور في عسكر كثير فاستولى السلطان على بني عشب، ثم حصلت الهدنة والصلح بينه وبين الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

ثانياً: مع الغز الأيوبيين:

وفي خلال الصلح الذي دار بين الإمام والسلطان علي بن حاتم وصل سلطان الغز (طغتكين بن أيوب) بعساكره إلى حجّة، وكتب إلى الإمام فلم يرد له بجواب

يشفيه بل نصب نفسه للحرب.

فاجتمع إلى الإمام أصحابه فقالوا: ((كيف العمل؟ هذا سلطان العرب حاطٌّ خلفك، وهذا سلطان العجم أمامك وكلاهما يريد هلاكنا؟)).

فقال الإمام: ((نلقي هؤلاء وجوهنا – أي سلطان العجم – وهؤلاء ظهورنا – أي سلطان العرب – والعرب أبقى لنا لو قدروا علينا، وإن قتلتنا العرب لم تسلبنا، وإن سلبتنا لم تصلبنا، وإن صلبتنا لم تكشف حريمنا)). فكفى الله سلطان العجم وأتى كتابه بالملاحظة.

فتوجه سلطان العجم إلى صنعاء وحط في كوكبان بعسكر كثير، ولكنه سرعان ما وجه رجلاً يقال له (يحيى بن أحمد الشاوري) إلى ميتك في عسكر، فأجابته العشائر رغبة ورهبة وتسلم حصن سيد، وحصن شعبان في شق جبل ميتك، فلما كان الصبح أحاط بالحصن عسكر كثير ذكر أنهم أربعة آلاف، ودخل في الطاعة أكثر أهل الجبل وسلموا الرهائن، واشتد الأمر على أصحاب الإمام وألحوا عليه بالإنصراف والتأخر فأقسم بالله لا تأخر عن ذلك المكان إلا غالباً أو مغلوباً.

مقتل الأمير محمد بن حمزة صنو الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ

ثم إن الإمام أمر أخاه محمد بن حمزة بالنزول إلى قرية صبرة يتقون فيها، فأزعجه الناس إزعاجاً عظيماً فتقدم إلى العدو وقال لأصحابه: ((لا تبدؤهم بالحرب حتى يبدأونا))، وكان شديد الورع كاملاً فاضلاً شجاعاً مقداماً، فما حاربهم حتى حاربوه، فلما تلاحم القتال زحف في طائفة فلم يزل يقاتل قُدُمَاً قُدُمَاً والأعداء يتكشفون عنه وأصحابه يتأخرون عنه جماعة جماعة، حتى صار عند بركة شواحط والعدو لازم بها، فأحاطوا به من كل جهة فقاتل أشد قتال، وأصاب رجلين بضربتين، ولم يقتل

حتى أثخنوه بالجراحات، وقتلوه. فمضى شهيداً سعيداً رضوان الله على روحه الطاهرة.

فلما قتل انكسر عسكره جملة وحقت الهزيمة فيهم وعادوا إلى قرية صبرة، وكثر الإزعاج للإمام والإلحاح بالتأخر، فقال الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ((الآن وقع الثبات، ولزم فرض الوقوف حتى يحكم الله لنا وهو خير الحاكمين))، وفزع الإمام إلى الله ودعا بدعاء عجّل الله إجابته وهو قوله: ((اللّهُمّ مِثْ قلوبهم كما يماث الملحُ في الماء)).

فاجتمع عسكر الأعداء وانفضَّ كما شاء الله بغير حرب ولا قتال ومضوا لا يلوي أحد على أحد، وجاء أصحاب الإمام وقالوا نطلع عليهم الجبل ونقتلهم، فقال الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ: ((إن كان يمكنكم لزم الجبل وكف أيدي الناس عن القوم وأخذ أموالهم حتى يأخذ القوم بكتاب الله وسنة رسول الله صَلَّىَ اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ)).

فقال له الأمير محمد بن الناصر: ((ما هذا بممكن))، فقال الإمام: ((لا حاجة لي في ذلك)).

فتركهم ثلاثة أيام ثم كتب إليهم كتاباً يدعوهم إلى الله وإلى إبلاغ الحق في قتل أخيه وتسليم الجناة إليه ليحكم فيهم بحكم الله، فعاد جوابهم أن أيديهم في القتل والحرب واحدة.

ثم إن الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ جهز إليهم الجنود وحاربهم حرباً شديداً وضيق عليهم المسالك، وأمر بإخراب زرعهم وشدد عليهم.

فأتى (طغتكين بن أيوب) وحط بعسكره شرقي جبل ميتك، والإمام يحض أصحابه على القتال ويوطن النفس على لقائهم ويقول لأصحابه: ((غرضنا الجهاد في سبيل الله والشهادة، وقد كنا نتمنى لقاء الترك والروم والإفرنج في بلادهم غضباً لله، فهذه المقادير قد ساقتهم إلينا)).

فكثر الإلحاح من أصحابه على التأخر وهو لا يسعدهم إلى ذلك، فقالوا: ((يا هذا قد ركنت إلى الجنّة فما بقيت تخاف الموت؟))، فقال:((أنا أخوفكم من النار)).

ودار بينهم وبين عدوهم مهاوشات ومحاربات حتى نزل أسفل النقيل مستقبلاً لوادي شرس فجمع أصحابه وذكرهم الله وقال: ((قد فعلنا ما أمكننا وأنا أريد منكم السمع والطاعة لله ولي)) ثم آل الأمر إلى انتصار الإمام وأصحابه على من واجههم في ذلك الحين.

وقعة عجيب

أ- مع إسماعيل بن طغتكين:

لما أن ولّى طغتكين ولدَه إسماعيل على كوكبان وجه إسماعيل جيشاً إلى ظاهر همدان فأظهر فيها الفساد من ارتكاب الفواحش وشرب الخمور في المساجد مع الفواسد، فلم يتركوا شيئاً من المنكرات يقدرون عليه إلا أتوه وفعلوه، وقع بينه وبين أهل ثلا من مشائخ آل المكم ووادعة وبكيل وغيرهم حرباً أدت إلى هزيمة الغز هزيمة منكرة، واستولوا على أسلحتهم ومحطتهم ودوابهم، وهزموهم حتى عادوا إلى صنعاء وكوكبان، فلما بلغ العلم بهزيمة الغز إلى طغتكين أمر بالجنود الكثيرة والخيل والسلاح إلى (بوزبا) وكان متولي الأمر في صنعاء وأعمالها شديد العزيمة عارفاً بأمور الحرب، وقد عَظُمَ في صدور الناس أمره.

فلما علموا بتوجهه إليهم علموا أن لا طاقة لهم به، وأنه لن يدفع الشر عنهم إلا زعيم من أهل البيت عَلَيْهِمُ السَّلاَمُ فتوجه المشائخ من آل المكم ومن بني صاع ومن آل القبيب ومن بكيل ووادعة وحاشد وغيرهم إلى الإمام وسألوه التقدم معهم والمدافعة عنهم وألحوا عليه في السؤال، وقالوا: «نجاهد بين يديك، وننفق الأموال والأنفس في سبيل الله» فرغب الإمام فيما عند الله، وساعدهم، وطلع إلى الظاهر.

فاجتمعت إليه قبائل وادعة وبكيل وحاشد والصيد وغيرهم فحلفوا له الأيمان المؤكدة على النصيحة.

فلما علمت العجم بذلك اضطرب أمرهم، فنهض (بوزبا) بالعساكر الكثيرة فحط بريدة، وكان غرضه الحط على الجبال.

وكان عدد الجيش الذين مع الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ قدر ثمانين فارساً، والرجل كثير أهل الفياس منهم قدر ألفين وخمسمائة وسائر أهل السلاح جم غفير.

وكانت خيل الغز قدر ثمانمائة فارس سوى البغال والبراذين، فأما الرجل فشيء كثير ما يحصى.

فوقع الحرب يوماً في شق السهل فانكسر الغز وانهزموا بفضل الله وبركة الإمام.

ثم عزم الإمام على بياتهم في محطتهم بمن معه من العسكر، وأن يترك ألف راجل في حصن (تلفم) وهو حصن مطل على ريدة من ناحية البون، ويقصد المحطة بباقي العسكر.

ولكن الخلل وقع في عسكره فإن كبارهم فسدوا وطمعوا وعمل فيهم الدينار والدرهم، ووعدهم (بوزبا) بالأموال والخلع، فتقوت عزائم العجم وتحركوا للحرب، فأمر الإمام أصحابه بالإمساك فلم يتقيدوا، فلما التقى الجمعان وتصادمت الخيل انهزم من كان في نفسه الفساد، ولم يبق مع الإمام سوى ثمانية فرسان أو تسعة وقدر خمسة عشر راجلاً فقال الإمام: «لا بد من لقاء القوم» فلما رأوا راية الإمام قاصدة نحوهم وقع حرب شديد قتل بين يدي الإمام قدر أربعة عشر راجلاً وهو لازم ما ثنى رأس فرسه عن العدو حتى تخلص باقي أصحابه، وألم به العدو من جميع جوانبه ما بينه وبينهم فارس ولا راجل، ولكن الله ألقى الهيبة في قلوبهم لما شاهدوه من شدة بأسه حتى انهزموا، وكان في ذلك عز الإسلام ونصر الحق وإنزال الرعب في قلوب أعداء الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.

وبقي الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في دعوة الإحتساب ما يقرب من عشر سنوات أو إحدى عشرة سنة، ناشراً للعدل، قائماً بالحق، آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر، فهذه بعض الأحداث التي وقعت في وقت الإحتساب وكان لها دور كبير في تمهيد قواعد

الدعوة العامة.

الدعوة الثانية: دعوة الإمامة العظمى (العامة)

كان له عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بيعتان:.

الأولى:. في ذي القعدة سنة (٥٩٣)هـ من الجوف، ثم توجه إلى دار معين من أعمال صعدة فأقام بها أربعة أشهر تنقص أياماً، اجتمع إليه فيها العلماء وأورد كل منهم سؤاله وامتحانه، وكانوا نحواً من أربعمائة عالم وفاضل وشريف، فوجدوه بحراً لا ساحل له، واعترفوا له بالفضل والسبق[١٤].

والثانية:. يوم الجمعة الثالث عشر من ربيع الأول سنة (٥٩٤)هـ، قال الإمام الحسن بن بدر الدين:

« وكانت دعوته بعد أن أحرز خصال الكمال، ونال منها أشرف منال، وكان معروفاً بالنشأة الطاهرة، والعلوم الباهرة، والورع المعروف، والكرم الموصوف، والشرف والسخاء والنجدة والوفاء، فاجتمع لاختباره علماء عصره، وسادات وقته، من الأمراء والأشراف، والقضاة والفقهاء وغيرهم من المسلمين، فناظروا في جميع الفنون، وامتحنوه أشد الامتحان حتى إن عالماً واحداً سأله عن خمسة آلاف مسألة في الأصول والفروع علوم القرآن والأخبار، وأجابه عنه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بأحسن جواب.

فلما رأى العلماء وسمعوا من علمه ما شهد له العيان، وينطق به الامتحان، ويعجز عنه أرباب البيان سمعوا له وأطاعوا، وأجابوا واتبعوا، وكانت البيعة له عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ يوم الجمعة لثلاث عشر من ربيع الأول سنة (٥٩٤)هـ[١٥]. انتهى.

---

(١٤) اللآلئ المضيئة للشرفي: الجزء الثاني –خ–، الحدائق الوردية –خ–.

(١٥) أنوار اليقين –خ–.

ثم إن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ توجه بمن معه من العلماء إلى المسجد الجامع الشريف بصعدة مسجد الإمام الهادي إلى الحق عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وقد امتلأ وغص بالعلماء والفضلاء.

فقام الأمير الكبير شمس الدين يحيى بن أحمد خطيباً في الناس وكان من قوله:

((يا جميع المسلمين: إنَّا قد أطلنا خبرة هذا الإمام، وشهدنا بفضله، وإنه أحق الناس بهذا المقام، وقد تعينت علينا وعليكم الفريضة ولزمت الحجّة، فهلموا فبايعوا الإمام واستبقوا إلى شرف هذا المقام)).

ثم إنه تقدم ومد يده فبايعه الإمام، ثم تقدم صنوه الأمير بدر الدين محمد بن أحمد فبايع، ثم تقدم بعدهما كبار الأشراف وأفاضل العلماء والقضاة وسائر المسلمين، فبايعوا كافة[(١٦)]، فلما قضيت صلاة الجمعة خرج الإمام والأميران إلى ضفة المسجد الشامية والمسلمون، فأقبل من جمعه السوق من أهل صعدة، وسائر قبائل العرب من خولان وسنحان وهمدان وغيرهم.

فتقدم الأمير شمس الدين فوعظ الناس وأخذهم باللطف وبيّن لهم الحق، وكان من كلامه:

((أيها الناس لقد جهدنا في حط هذا الأمر عن رقابنا ورقابكم بكل ممكن فما وجدنا إلى ذلك سبيلاً، وقد علمتم أن ملوك اليمن قد عرضوا علينا أموالهم، وخيولهم وحصونهم وطاعتهم وحضونا على هذا المقام فلم نساعدهم إلى ذلك لوجود العذر بيننا وبين ربنا، ومع وجود هذا الإمام فلم نجد سبيلاً إلى التأخر وإنما هو الإقدام أو

[(١٦)] التحفة العنبرية –خ–، اللآلئ المضيئة –خ–، نقلاً عن السيرة المنصورية.

النار)) فبايع الناس أفواجاً[١٧].

ألفاظ البيعة

وكانت بيعته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ أن يبسط يده الشريفة ثم يقول للرجل: ((أبايعك على كتاب الله وسنة رسوله صَلَّىَ ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وموالاة ولينا، ومعاداة عدونا، والجهاد في سبيل الله بين أيدينا)).

فإذا قال الرجل: ((نعم)).

قال: ((عليك بذلك عهد الله وميثاقه وأشد ما أخذ على نبي من عهد وعقد)).

فيقول الرجل:((نعم))، فيقول الإمام:((الله على ما نقول وكيل)) [١٨].

الوفود إلى الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ للبيعة

ولما ذاع واشتهر في الناس انعقاد البيعة للإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ومبايعة العلماء له، وتسليم الأمر إياه، أقبل إليه الوفود من كل فج عميق من أقطار اليمن مسارعة في الفضيلة، ومسابقة للجهاد بين يديه، والانضواء تحت راية القائم من أهل البيت علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ ليدفع عن الناس ما يصيبهم من الفتن والمحن.

فكان ممن وفد عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ: الشرفاء بنو عمه من أولاد حمزة بن أبي هاشم، ومنهم الشريفان الفاضلان علي وسليمان ابنا بدر الدين بن عبد الله بن جعفر بن القاسم من بلاد الأهنوم في جماعة من أصحابهما فسلموا وأطاعوا.

---

[١٧] التحفة العنبرية –خ–، اللآلئ المضيئة –خ–.

[١٨] الحدائق –خ–، التحفة –خ– اللآلئ المضيئة –خ– عن السيرة.

وممن وفد أيضاً: الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان بعد المكاتبة، فتثاقل عن الإجابة وامتنع وأقام ثلاثة أشهر مجتهداً في المباعدة والمناصبة، ثم كاتبه الإمام وعرّفه مكان أسلافه وطابت نفسه فقدم على الإمام وبايع على الطاعة.

وممن وفد أيضاً: الفقيه شهاب الدين أبو القاسم بن حسين بن شبيب الخشني من ناحية الشرفاء بني سليمان بتهامة، وهو من العلماء وأهل المعرفة والفضل.

وأخبره بأن الشريف نظام الدين يحيى بن علي بن الحسن بن فليتة الحسني وهو من أهل الفضل والعلم وكان ممن يرجى للقيام، لما بلغته الدعوة نشرها ودعا الناس إليها في تلك الجهة فسمعوا وأطاعوا وبايعوا، وأجرى الأحكام على مقتضاها.

وممن وفد إلى الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ: الشيخ المكين عز الدين سيف أمير المؤمنين عزان بن أسعد بن عزان الحبشي المذحجي وهو رئيس قومه والمقدم فيهم، وكان ملتزما بأسباب الدين، شديد البحث عن الأدلة والبراهين، ومن أقوى أعوان الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ وأنصاره.

وكان الغالب على أهل بلده الجبر، وكان أبوه في بدو الأمر على رأيهم ثم خرج إلى مذهب الزيدية بعناية الإمام أحمد بن سليمان، فنشأ على طريقة أبيه فانتشر المذهب في تلك البلاد، وتقوى أمره، وكان قد حارب الغز في مواقف كثيرة وصارت له هيبة عظيمة، وكان جيد الرمي بالنشاب.

وممن وصل إلى الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ: الأمير المنتصر العفيف محمد بن المفضل بن الحجاج، وابن أخيه يحيى بن منصور بن المفضل، والأمير محمد بن فليتة بن القاسم، والأمير أبو الفتح بن محمد العباسي كل منهم في عسكر عظيم من هجرة وقش والجبجب وغيرهما من الهجر، والإمام يريد التوجه إلى كوكبان.

وممن وصل إليه: السلطان عمر بن علي بن حاتم في عسكر كثير.

وممن وصل إلى الإمام: السلاطين آل حاتم بشر بن حاتم بن أحمد بن عمران بن الفضل اليامي وولد عمرو، وأولاد أخيه علي بن حاتم وهم زيد وسالم ومسعود وحنظل وصلوه إلى براقش وحل عنده السلطان بشر بن حاتم.

وممن وصل إليه: القاضي محمد بن نشوان بن سعيد الحميري والإمام في كوكبان، فأقام عنده أياماً يسأله ويباحثه عن مسائل مختلفة وهو يجيب عليه، ولما أراد المراح وادعه بقصيدة قال فيها:

يا سيداً سبق السادات كلهم ... إلى مدى بالغ في المجد والجود

وعالماً فاق أهل العلم إن له ... من ربه لطف توفيق وتسديد

وقائماً مكن الرحمن وطأته ... على البرية من بيض ومن سود

الله أتاك ما لم يؤته أحداً ... من الأئمة من نصر وتأييد

أجابك الناس من شام ومن يمن ... ملقين في كل أمر بالمقاليد

إلى أن قال:

هذا الإمام الذي كنا نؤمله ... وكان يُروى بتصحيح الأسانيد

إلى أن قال:

قد اختبرناه خُبْرَ العارفين له ... حق اليقين ولم نقنع بتقليدِ

فكان في الخُبر أوفى منه في ... مستحسن كنسيم المسك محمودِ

إلى آخرها.

ووردت على الإمام عَلَيْهِ اَلْسَّلاَمُ الكثير من المكاتبات والمراسلات من الكثير من المناطق من المشائخ ووجوه الأقوام بتسليم البيعة والانقياد والطاعة.

والشرح في هذا يطول.

وممن وفد إلى الإمام: داوود بن عبيد الخيبري الزيدي من خيبر، وفد لما بلغته دعوة الإمام ووصلت إلى خبير والمدينة، فلباها وأجابها، وكان من علماء وقته وفضلاء زمانه، وكان شديد الاجتهاد في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله.

وممن وفد إليه عَلَيْهِ السَّلاَمُ: محمد بن سليمان العنسي في جماعة من أصحابه من نهج تهامة وهم زيدية.

ولاة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وقواده

وبعد أن تم الأمر وعقدت البيعة قام الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بتولية الولاة، ووضع القضاة في البلدان، وكان لَه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ من الولاة والأنصار الذي بذلوا أنفسهم ونفيسهم ومجهودهم في سبيل طاعة الله وطاعة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، ونذكر بعضهم:-

فمن خيار أنصاره وولاته: الأمير الكبير الداعي إلى الله شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى عليْهِمُ الْسَّلاَمُ، فقد كان له من الإجتهاد والعناية ما يليق بمثله، على كبر سنه وضُعفه فعمره إذ ذاك في عقدِ السبعين، فقد بذل نفسه في سبيل الدعاءِ إلى الله وإلى طاعة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وإلى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد في سبيل الله حتى تورمت قدماه من السير في بعض نواحي المغرب، ولاه الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ شام بلاد خولان وبني جماعة والأبقور وبني بحر والأهنوم، ولما أرسله الإمام إلى خولان داعياً للقبائل إلى البيعة حضرت قبائل خولان على أصنافها الأشراف والمشائخ والقضاة فبايعوا وأجابوا ومواقفه في نصر دين الله عظيمة.

وقد توفي رحمة الله عليه سنة (٦٠٦)هـ، وعمره (٧٩) سنة، وقبره في هجرة قطابر مشهور مزور، ورثاه الإمام بقصائد بليغة، مذكورة في هذا الديوان.

ومنهم: الأمير بدر الدين الداعي إلى الله محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى عليْهِمُ الْسَّلاَمُ، ولاه الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ على نجران، وكان له عناية عظيمة في الجهاد بين يدي الإمام، ودعوة القبائل إلى بيعته كأخيه شمس الدين رضي الله عنهما، أرسله الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ قائداً للجيوش إلى حرب نجران لما خالفوا ونكثوا وقتلوا الأمير علي بن المحسن، فأدبهم وبقي أميراً عليهم يجري أحكام الله وينفذ شريعته.

وكان الأميران عضدي الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وأمينيه ودارت بينهما مراسلات

ومكاتبات نثرية وشعرية تقضي بأكيد المودة وعظيم الصلة بينهم، وكان الإمام يجلهما ويعظمهما ويعرف لهما الحق الكبير لكبر سنهما، وعظيم عنايتهما.

وتوفي الأمير بدر الدين بهجرة قطابر سنة (٦١٣)هـ، يوم الخميس منتصف رجب وعمره (٨٥) سنة، وقبره جوار أخيه شمس الدين بقطابر مشهور مزور.

ومن ولاته وقواده: الأمير الشهيد مجد الدين يحيى بن الأمير بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ، ولاه الإمام صعدة بعد مقتل الأمير الشهيد علي بن المحسن، ونجران بعد أبيه بدر الدين، وكان مؤهلاً للإمامة، كما حكي ذلك عن الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ أنه أصابه ألم خُشي عليه من فسئل: من المؤهل للإمامة بعده؟ فقال: هو الأمير مجد الدين، وكان شجاعاً بطلاً متفانياً في الجهاد في سبيل الله.

ولاه المنصور بالله قيادة الجيوش غير مرة، استشهد رضوان الله عليه في معركة أرسله فيها الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وكان ذلك في شهر صفر سنة (٦٠٨)هـ، فلما بلغ الإمام استشهاده حزن عليه حزناً عظيماً، ورثاه بقصيدتين بليغتين الأولى عينية وعدد أبياتها (٥٢ بيتاً) قال فيها:

فقـــدناه حســـاماً مشـــرفياً ... وبحـــراً زاخـــراً وحيـــاً مريعـــا

إمـــام أئمـــة وشـــحاك ضـــد ... وليثـــاً خـــادراً وحمـــىً منيعـــا

إلى قوله:

لَعَـــاً لَـــك مـــن فقيـــد أورثتنـــا ... رزيئتـــه الكآبـــة والخشـــوعا

صـــريع أســـنة الفســـاق أكـــرم ... بـــه فـــي ذات خالقـــه صـــريعا

يُهَـــوِّن مـــا ألاقيـــه بـــأن الـــ ... ـــذين صـــدوا بـــه قتلـــوا جميعـــا

إلى آخرها.

والثانية (رائية) وهي بليغة جداً ومبلغ أبياتها (٧٦ بيتاً) قال فيها:

يا يوم يحيى أنت يوم الطف أو   يـــوم الثنيـــة خـــدك العثـــارُ

إلى قوله:

أبنـي علـي هـل يصـاب أميـركم   جهـلاً ولـم يـك مـنكم إنكـارُ

إلى آخرها، وهما مذكورتان في الديوان.

وقبره رحمة الله عليه في الأهنوم في هجرة الخموس في قرية يقال لها المشهد مشهور مزور.

ومن قواده وولاته: صنوه الأمير الشهيد إبراهيم بن حمزة بن سليمان عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ، قائداً شجاعاً، ولاه الإمام إلى قيادة الجنود لحرب الظالمين والناكثين في عدة حروب، وكان والياً على الجوف، ثم أرسله الإمام إلى مأرب فأصلح البلاد والعباد، ثم رجع إلى الجوفن وكان يأمره الإمام بإعداد الجنود من الجوف لوقت الحاجة، أرسله الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في سرية خيلها يزيد على الستين ورجالها يقارب المائتين لحرب الغز فهزموهم في (درب الجبوب) وملكوا القرية، ثم نهض إلى لصف فأقبل (بوزبا) في خيل الغز وهم ثمانون فارساً فوقع القتال بينهم فهزموا الغز، فلما علم وردسار بذلك أقبل في الجنود الكثيرة، فرفع الأمير إبراهيم بن حمزة عسكره إلى أعلى وادي لصف، وعبأ الناس ميمنة ويسيرة وقلباً، فأقبلت جنود الظالمين، ثم وقع قتال شديد، فانهزم العسكر فصرع أحد جنود الأمير إبراهيم فسارع في تخليصه، فأحاط به الغز في مكان ضيق من الجبل حتى صرعوه عن فرسه، ثم قاتلهم راجلاً فقتل منهم رجلاً وصرع آخر وعقر فرساً وهو يقاتلهم مقبلاً، فأتاه رجلٌ من خلفه فضرب يده وهو ممسك على الرمح فقطعها، وما زال يقاتل حتى ضُربت رجله فصرع، ثم قتلوه، واحتزوا رأسه وأمروا به إلى صنعاء كما فعل برأس الحسين بن علي عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ.

وكان قتله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ يوم السبت لثمان خلون من شعبان سنة (٦٠٠)هـ.

فلما بلغ خبره الإمام اغتم غماً عظيماً، ورثاه بقصيدة (لامية) قال فيها:

الإمـــام الصـــوام والعـــالم العلـــ ـــام خيـــر الأنـــام ذي التبتيـــل

آمـــر بـــالمعروف نـــاهٍ عـــن المنـــ ـــكر لا يطيبـــه قـــول العـــذول

إلى آخرها، وهي مذكورة في الديوان.

ثم رثاه بقصيدة (رائية) قال فيها:

لـنعم الفتـى ودعـت يـوم شـوابة وداعـاً تلاقينـا لـه صـحة الحشـرِ

هو العسكر المجر الذي يُتقى به على أنه قد كان في عسكر مُجْر

فلـو كـان فـي غيـر الإلـه مصـابه لما جمدت عيني عليه مدى عُمري

إلى آخرها، ذكر فيها مصابه وأوصافه، وحث فيها على الجهاد في سبيل الله.

ثم رثاه بقصيدة ثالثة (قافية) قال فيها:

ســـقى الله الـــذي ذاق المنايـــا أمـام الخيـل مـن كـأس الرحيـقِ

فتـى كالسـيف يـوم الـروع بأسـاً ويفـــرق أن يلقـــب بـــالفروقِ

إلى آخرها وفيها يحرض القبائل على الجهاد ويذكر الذين خذلوا أخاه حتى قتل.

وحزن عليه المسلمون حزناً عظيماً ورثي بمراثٍ كثيرة.

وقبر عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بلصف، ثم نقله الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ إلى الزاهر من قرى الجوف، وقبره بها مشهور مزور.

ومن قواده وولاته: الأمير الشهيد علي بن المحسن بن يحيى بن يحيى – رضي الله عنه – ولاه الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ على صعدة أولاً، والسبب في قتله أنه وقع بين بني الحارث ويام وشاكر فساد، وأغار الصعيب اليامي أسفل الوادي، ووقع اضطراب في نجران، فبلغ الخبر صعدة فنهض الأمير علي بن المحسن واستنفر أهل

الحقل فاجتمع معه مقدار ثمانين فارساً، ونحو سبعمائة راجل غير من التأم إليهم من سائر القبائل، ثم نهض إلى العدو على غير تعبئة فمال الجنود عنه، وتفرقت الخيل ولم يبق معه فارس ولا راجل، فقاتل حتى مضى شهيداً في سبيل الله واستشهد معه في الوقعة قدر سبعين رجلاً، وذلك في شهر صفر سنة (٥٩٥) هـ.

فلما بلغ الإمام اغتم غماً شديداً، وأرسل جيشاً بقيادة الأمير بدر الدين محمد بن أحمد وأخيه إبراهيم بن حمزة في جيش كبير بلغ عدد نحو سبعة آلاف فيه مائتا فارس، ثم ولى الإمام بعده صعدة الأمير مجد الدين إلى أن قتل، ثم ولَّى أخاه تاج الدين كما يأتي.

ومن قواده وولاته: صنوه الأمير الباسل عماد الدين، الأمير المظفر يحيى بن حمزة بن سليمان عَلَيْهِمُ الْسَّلَامُ، ولاه الإمام عَلَيْهِ الْسَّلَامُ ما يلي ظاهر بني صريم إلى الطرف وما يتصل به من الجهات إلى بلاد حمير ونواحيها إلى بكر وما يليه من الجهات المغربية إلى مساقط حراز، وبقيت في يده إلى أن توفي الإمام عَلَيْهِ الْسَّلَامُ.

وهو أشهر فرسان الإمام وأشجعهم ومواقفه في الحروب معلومة لمن تتبع السيرة المنصورية.

من ولاته وقواده: الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم بن محمد بن الحسين بن حمزة بن أبي هاشم رضي الله عنهم، ولاه الإمام المنصور بالله عيان وما يليه إلى نواحي الجهات المغربية من بلاد حجور وقحطان، وتوفى الإمام وهي في يده، وكان قرين الأمير إبراهيم بن حمزة في أكثر الحروب والمعارك.

ومن ولاته وقواده: الأمير علم الدين سليمان بن موسى بن داوود الحمزي، من كبار القواد، ولاه الإمام المنصور بالله على الجوف وأعمالها إلى أن توفى المنصور

عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وهي في يده.

ومن ولاته: الأمير تاج الدين أحمد بن الأمير بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى، ولاه الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ صعدة بعد مقتل أخيه مجد الدين رضي الله عنه، وبقي والياً بها إلى وفاة الإمام المنصور بالله عليه السلام، وقبره في المشهد اليحيوي بصعدة المحمية غرب قبة الإمام الهادي عليه السلام.

ومن قواده: صنوه الأمير أسد الدين الحسن بن حمزة بن سليمان عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ، استشهد في المعركة التي استشهد فيها الأمير مجد الدين، ورثاه الإمام بقصيدة بليغة.

ومن ولاته: القاضي العلامة ركن الدين يحيى بن جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى البهلولي، وكان غزير العلم، بالغاً درجة الإجتهاد، سئل الإمام المنصور بالله عنه هل مجتهد؟ فقال: هو من أكبر المجتهدين، ولاه الإمام الحقل وما يليه من بلاد جنب، وكان من أصحاب القاضي جعفر وهو ولده.

ومن ولاته: القاضي العلامة سليمان بن ناصر الدين بن سعيد بن عبد الله بن سعيد بن أحمد بن كثير السحامي، وكان عالماً غزير العلم بالغاً درجة الإجتهاد، هو صاحب كتاب (شمس الشريعة)، وكان من أصحاب القاضي جعفر، ومن تلامذة الإمام أحمد بن سليمان، وكان وفاته في شعبان سنة (٦٠٠) هـ.

ومن ولاته على القضاء: القاضي العلامة محمد بن عبد الله بن حمزة بن أبي النجم، ولاه الإمام قضاء صعدة، وكان يقال له: قاضي الشرع، وولده القاضي عبد الله بن محمد تولي قضاء صعدة بعد موت أبيه.

ومن ولاته على القضاء: القاضي العلامة عمرو بن علي العنسي رحمه الله،

ولي القضاء على حوث وأعمالها.

ومنهم: **القاضي العلامة عبد الله بن معرف**، ولي القضاء على وادعة.

ومنهم: **القاضي أحمد بن مسعود الربعاني** من أصحاب القاضي جعفر رحمه الله.

وكان من ولاته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في الحجاز: **السيد يوسف بن علي الحسني الشهيد** كان عاملاً للإمام على ينبع والصفراء، ومتولياً لأخذ البيعة في تلك النواحي.

ومنهم:. **القاضي عرفطة بن المبارك** كان عاملاً للإمام في شابة وبلاد بني سليم إلى مكة.

المناطق والبلدان التي وصلت إليها دعوة الإمام عليه السلام

لم تكن دعوة الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ مقتصرة على اليمن فحسب، بل بلغت دعوته الأصقاع، وبلغ صيت دولته في كل بلد وذاع، ولم تكن مقصورة على الوطن العربي أو الجزيرة العربية بل أجابتها غيرهم من دول العجم.

فلما بلغت ملوك العالم إذ ذاك دعوته سارعوا في إجابتها، وإجراء الأوامر الإمامية المنصورية بها، واستقبلوا رسل الإمام وعماله وأكرموهم.

فمن المناطق التي وصلت إليها دعوته عَلَيْهِ السَّلاَمُ:-

أولاً:- مكة المشرفة والمناطق الحجازية

وكان أميرها الأمير الفاضل أبي عزيز قتادة بن إدريس بن مطاعن بن عبد الكريم بن عيسى بن الحسن بن سليمان بن علي بن محمد بن موسى بن عبد الله بن موسى بن عبد الله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

أرسل إليه الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ جماعة ومن أصحابه فيهم الفقيه العلامة القاسم بن شبيب - رحمة الله عليه - وأهدى له الإمام خيلاً مالها في عصرها ثانٍ في الجودة.

فبايع أبو عزيز قتادة بن إدريس للإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ على يد القاسم بن شبيب، فأنفذ الإمام ولاته وعماله إلى الحجاز وقبضت له الحقوق الواجبة من قبائل الحجاز من بَليّ وعدوان وجهينة ومزينة وهذيل وسليم وحرب ووسائل الرس وعرض السيالة، وجدد البيعة على الفقية علي بن أحمد الأكوع، وكان أبو عزيز أحد أنصار الإمام ودارت بينهما مودة وثيقة، وخطب للإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ بمكة والحجاز وينبع والصفراء

وبلاد نجد وبعض أطراف المدينة التي كانت تحت يد الأمير قتادة، وجرت فيها الأحكام الإمامية المنصورية، وطهرت مكة من أدناس الفسق والمعاصي، وكم قصيدة شعيرة أرسل بها الإمام عليه السلام إليه، وأثنى عليه فيها، والقصائد التي احتوى عليها هذا الديوان التي أرسل بها الإمام إلى الأمير قتادة، تدل دلالة واضحة على متانة العلاقة بينهما، وقوة الروابط، وتفصيل الأخبار يطول(١٩).

ثانياً: الجيل والديلم

كان داعي الإمام عَلَيْهِ اَلْسَّلاَمُ إلى الجيل والديلم الفقيه العلامة محمد بن أسعد المرادي المذحجي، والقاضي محمد بن قاسم بن نصير، فبايع له جميع من بها من الزيدية وشاع فيها ذكره، وخطب له في مساجدها، وصُلّيت الجمع، وقبضت له الحقوق الواجبة، وجاهدوا من يليهم من المجبرة والمجسمة والباطنية، فعمهم الله بالخير والخصب بعد الشدة والقحط، وأقيمت عندهم الحدود وكان الأوامر النبوية جارية فيها على الوجه الذي تجري فيه في نواحي اليمن(٢٠).

قال في الحدائق الوردية: ولقد أخبرنا من نثق به، وهو الفقيه الفاضل حمزة بن محمود الجيلاني، من شدة تشددهم في ذلك –أي في القول بإمامة المنصور بالله– بما يكثر، حتى أن رجلاً من علمائهم ظهر منه تخذيل عن بيعة الإمام عليه السلام، فلما علم بذلك بعض الأكابر من العترة عليهم السلام، وهو الأمير السيد ظهير الدين أبو طالب يوسف الثائري الحسيني قدس الله روحه أمر من صلبه، وكذلك في

(١٩) السيرة المنصورية (١/٥٤-٨٠) مطلع البدور –خ– (٦/٣) .

(٢٠) الحدائق الوردية –خ–، اللآلئ المضيئة، التحفة العنبرية –خ–.

صورة تشبه هذه، طرد أيضاً رجلاً من علمائهم المشهورين من بلد إلى بلد لتوقفه في إمامة الإمام، حتى صفت له عليه السلام الأمور فيها، وكانت الأموال تصل في كثير من السنين من جهتهم.

ولم يعلم أنه اجتمع لأحد من أئمتنا عليهم السلام ما اجتمع له من انتظام أمور اليمن والحجاز وجيلان وديلمان قبله عليه السلام.

وكذلك فإن جميع من في جهات الري كلهم اعتقدوا إمامته، وعلا صيته في جميع الأقطار.

ثالثاً: خوارزم

وكان ملكها علاء الدين(٢١) شاه شاه [أي ملك الملوك] فكتب له دعوة يدعوه فيها إلى طاعة الله وإلى البيعة، واتصلت به على يد العالم الكبير شيخ الطوائف مجد الدين يحيى بن إسماعيل بن علي بن أحمد الجويني الحسيني وكان متبحراً في العلم، فلما وصلت بالملك أجازه إجازة سنية، وأعطاه مالاً، ورفع من رتبته، وكان ملك خورازم من المحققين في العدل والتوحيد وأهل بلده معروفة بذلك، وكانوا يعتقدون من كفر المجبرة والمجسمة كعقيدة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، ولهم معرفة بحق أهل البيت عَلَيْهِمُ

(٢١) هو علاء الدين محمد بن علاء الدين تكش، كان فاضلاً عالماً بالفقه والأصول، مكرماً للعلماء ومحباً لهم، محسناً إليهم، مقرباً لأهل الدين ومعظماً لهم مقبلاً عليهم، متبركاً بهم، وكانت ولايته إحدى وعشرين سنة وشهوراً، اتسع ملكه، وعظم محله، ملك من حد العراق إلى تركستان، وملك بلاد غزنة وبعض الهند، وملك سجستان وكرمان وطبرستان وجرجان، وبلاد الجبال وخراسان وبعض فارس، ولما دخل التتر في جيش عظيم إلى خوارزم وملكوا سمرقند، خرج هارباً حتى وصل إلى قلعة مازندران، وبها توفي سنة(٦١٧)هـ.

الْسَّلاَمُ[٢٢].

رابعاً: دمشق(حلب)

وملكها غازي بن صلاح الدين بن يوسف بن أيوب، وردت كتبه إلى الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ سنة إحدى وستمائة والوارد بها رجل من ولد النفس الزكية.

وعلى الجملة الأمر كما قال الفقيه حميد الشهيد رحمة الله عليه: ((وكان عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ قد رزقه الله تعالى من حسن الصيت وارتفاع الذكر، وحسن الأحدوثة، والثناء الجميل ما قل مثله لمن مضى من أئمة الزيدية علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ) انتهى[٢٣].

---

(٢٢) الحدائق الوردية –خ–، مطلع البدور –خ– التحفة العنبرية –خ–.

(٢٣) الحدائق الوردية –خ–.

أهم المعارك والحروب

ولما انتشرت دعوة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في ربوع اليمن قاد الجنود، وحمل الرايات والبنود، إلى محاربة المفسدين، وتطهير الأرض من المعتدين، ونشر العدل والإنصاف بين أوساط المسلمين، وفتح البلدان التي قد سيطر عليها الغزاة، وإقامة الجُمع، وتولية القضاة فيها، وقد أيده الله عز وجل بانتصارات عظيمة، وجعل له هيبة في قلوب أعدائه، ومكانة رفيعة في قلوب أولياءه، فكانت الملوك والقواد ترجف رعباً وخوفاً من هيبته، لما يشاهدوه من بسالته وشجاعته، وكان من أشهر تلك الفتوحات، وأعظم الانتصارات ما يلي:

أولاً: فتح صنعاء

كان فتح صنعاء في شهر الحجة سنة (٥٩٤)هـ، نهض الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ من كوكبان في مقدار مائة وعشرين فارساً كلهم من العجم والبقية من خواص أصحابه وشيعته قدر عشرة أو يزيدون، فوصل إلى عَصِر، وكان جند الغز فيها ما يقرب من سبعمائة فارس، فتقدم الإمام إلى الباب ففتحوا له ثم دخل، فأحاط الشيعة وأقبل إليه الناس من كل جانب، فقصده الغز إلى المسجد الجامع وأحاطوا بالمسجد بالخيل والرجال والعدة، فتفرق جميع من حول الإمام ولم يبق معه إلا قدر خمسة عشر رجلاً، ثم صعد إلى سطح المسجد، وذلك وقت صلاة المغرب فأذن المؤذن بالأذان النبوي وصلى بأصحابه على خوف شديد، ودعا الله بتعجيل الفرج، فما كان إلا يسيراً حتى أنزل الله في قلوبهم الرعب والخوف فتفرقوا ولم يبق منهم أحد، وبقي الإمام تلك الليلة في صنعاء مختفياً في دور الشيعة هناك، فلما طلع الفجر أتاه الأمير

جكو بن محمد يهنئ الأمام بالسلامة وأقسم بملازمة الإمام والجهاد بين يديه، ثم مشى الإمام بمن معه حتى وصلوا إلى المسجد فحضر الغز وأميرهم في صنعاء (شمس الخواص) وهم شاكين في السلاح، وتفرق أصحاب الإمام عنه، فنزل عن فرسه ودعاهم للبيعة، فنزلوا عن خليهم وبايعوا وأيديهم ترتعد من الخوف، ثم استقامت الأمور للإمام بصنعاء، وساس الجمهور، وأقيمت الحدود، وطهر البلاد عن الفساد، وأمر بإهراق الخمور، فأريقت.

وقد أنشأ الإمام قصيدة يذكر فيها فتح صنعاء قال فيها:-

قذفتُ بنفسي في خميس عرمرم ... فكنت بنفسي فيه جيشاً عرمرما

أقلب طرفي هل أرى العرب جهرة ... فلم أرّ إلا أعجمياً مهمهما

سوى نفر شم الأنوف غطارف ... رأوا خلطهم للنفس بالنفس أكرما

إلى آخرها[٢٤].

ثانياً:- فتح ذَمَار

ثم إن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ توجه إلى فتح ذَمَار في شهر في شهر ربيع الأول سنة (٥٩٥)هـ، في عشرين فارساً وثمان مائة راجل وكان الأمير جكو قد تقدم بيومين أو ثلاث في مائة وعشرين فارس وثمان مائة راجل، فعلم الإمام بوصول محطة الغز إلى ذمار في ستمائة فارس، فاضطرب أصحاب الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ فلما وصل الإمام إلى الأمير جكو تقوت عزائم أصحابه، فنهض الإمام متوجهاً إلى العدو فانتقضت

---

(٢٤) الحدائق الوردية -خ- اللآلئ المضيئة -خ- التحفة العنبرية -خ- أنور اليقين -خ- وغيرها.

التعبئة ولم يبق مع الإمام سوى أربعة عشر رجلاً، وثبت الإمام ثباتاً عظيماً وارتاع أعداؤه لما رأوا من شدة بأسه وقوة عزيمته، ثم إن الإمام عاود القتال في اليوم الثاني ودخل ذمار وسالت الجنود المنصورية وانهزم الغز وقتل منهم قدر ثلاثون فارساً وأيقنوا بالهلاك فصاحوا بالأمان، فأمنهم الإمام، وفتحت أبواب المدينة، فأتاه الجند من الغز شاكين في سلاحهم، فنزلوا عن خيولهم وبايعوا الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وفي ذلك ما يقول الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ:

وفي ذمار تركت الجيش عن كمل خلفي وكافحتها عن دين معبودي

وغيرها من الفتوحات العظيمة التي حققتها الجنود المنصورية في حجة ونجران وصعدة والجوف وخولان ومأرب وبيحان، وغيرها من المناطق.

ثالثاً:- وقعة الجَنّات

وهي من أعظم المعارك التي خاضها جند الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ مع الغز وهزمهم هزيمة عظيمة.

وذلك أن وردسار لما حقت عليه الهزائم، واختلت البلاد من يده، جعل على الجنات أربعين فارساً من نخبة العسكر لحفظها والدفاع عنها.

فلما علم الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بذلك لم يرَ بُدّاً من حربهم لظهور فسادهم وقوة شوكتهم.

فأرسل إلى أمرائه بالاستعداد والتأهب والقدوم للحرب، أرسل إلى الأمير صفي الدين محمد بن إبراهيم يأمره بجمع العشائر، وإلى أخيه إبراهيم بن حمزة بالقدوم من الجوف في الخيل، وإلى أخيه الحسن بن حمزة وكافة الأمراء والأشراف الحمزيين يأمرهم باللقاء.

فأتى الأمير إبراهيم بن حمزة من الجوف بما يقرب من ستة وأربعين فارساً، ووصلت

خيل بني حمزة من الظاهر، فاجتمع عسكر عظيم تزيد الخيل فيه على مائة فارس، والرجل عدد كثير.

فسار العسكر وحط قرب الجنات وانتشر العسكر للقتال، فوقع قتال عظيم هزم فيها خيل الغز وهم أربعون فارساً، وقتل منهم جماعة وجرح آلاف آخرون، وأسر آخرون أيضاً.

فلما علم وردسار بذلك خرج من صنعاء ومعه مائة وعشرون فارساً وقصد الجنات، فتصدت له الجنود المنصورية، في قرية ضياعين وقتلوا منهم أحد عشر رجلاً وألقوا أسلحتهم وحقت فيهم الهزيمة، وكثرت الجراحات.

رابعاً:- غزوة المطرح(٢٥)

وكانت في سابع شهر رمضان سنة (٥٩٥)هـ، وذلك أن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بلغه ظهور الفواحش وامتناعهم عن طاعة الله وتسليم الواجبات، فنهض الإمام من أثافت(٢٦) في عسكره فحط في الخموس بعد العشاء الآخرة ثم استراحوا قليلاً، ثم واصلوا المسير حتى وافوا (المطرح) عند انبساط الشمس، فلما علموا بقدوم الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ هربوا إلى الجبال بأموالهم وما خف معهم، فتبعهم الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بعسكره فانهزموا وسلموا الطاعة.

وتتابعت الأحداث في عام (٥٩٥)هـ، وحكى مصنف السيرة عن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ أنه قال: ((ما علمت أني نزعت ثيابي من جسدي في ليل مدة الإقامة

---

(٢٥) اسم لموضع بالقرب من الخموس في الأهنوم.

(٢٦) أثافت: بضم الهمزة: بلدة بالقرب من دماج شرقي خمر.

بأثافت خوفاً من مفاجأة العدو وأنا على غير أهبة، وما زال سيفي ضجيعي، ودرعي وسادي» [٢٧].

ومن الغزوات

غزوة المحالب وسراقة دوبع وحرض ونجران وغيرها، مشروح في السيرة المنصورية، وبعضها في اللآلئ المضيئة والتحفة العنبرية وغيرهما. وكذلك يوم هران ويوم بيحان.

وقد اشتمل هذا الديوان على قصائد عظيمة، أرخت تلك الوقائع والأحداث، وشرحت ما دار فيها، وبينت ثبات الإمام وجنده، ويثني فيها الإمام ويمدح القبائل التي قامت بنصره، ويسميها ويذكر مآثرها وسوابقه، ويذم ويعيب ويعاتب على من خذله، أو كان مناصراً لأعدائه من القبائل، وقد يسمي أشخاصاً معينين بأسمائهم إذا اقتضى الأمر التعيين.

---

[٢٧] اللآلئ المضيئة –خ–.

كرامات الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ

وقد أكرم الله وليه وابن نبيه بكرامات كثيرة تبين عظيم منزلته عند الله تعالى، حكاه المؤلفون لسيرته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ المعاصرون لَه أهل الثقة والعدالة والتثبت في الرواية والدراية، وظهرت كراماته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ للخاص والعام، ولزمت الحجة جميع الأنام مصداقاً لقوله تعالى:**{سَنُرِيهِمْ ءَايَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ}**، وسنذكر بعضاً منها:-

فمن كراماته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ما يلي:-

أولاً: قصة الطيور: وهي أن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ لما دخل صنعاء المرة الثانية رُويء فوق الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وعسكره طيوراً صافة من الثمانية إلى التسعة إلى العشرة بيضاء مخالفة لما عهد من الطيور. روى القصة بهاء الدين أحمد بن الحسن الرصاص(٢٨).

ثانياً: قصة النشاب: وذلك أنه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ لما دخل صنعاء فتح باب غمدان بشقصة من خشب وكان لا يفتح بمفاتيحه إلا بعد معالجة شديدة(٢٩).

ثالثاً: قصة الأكسح: وهي أن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ لما دخل صنعاء المرة الثانية أُتي إليه برجل يمشي على أرباعه، فمسح عليه الإمام فعافاه الله تعالى.

قال الفقيه حميد الشهيد في الحدائق: «وقد شاهده خلق جم لا يحصون من أهل المدينة على حالته الأولى والثانية».

رابعاً: قصة النور: وهي أن الإمام دخل شبام كوكبان آخر يوم من جماد الآخرة

---

(٢٨) رواها الأمير الحسين في الينابيع ص٢٦٨، الحدائق -خ-، وأنوار اليقين وغيرها.

(٢٩) الأمير الحسين في الينابيع، أنوار اليقين، الحدائق وغيرها.

سنة (٥٩٤) هفوقع على الدار نور عظيم ساطع بعد صلاة العشاء الآخرة واستطار في الأرض، وكان في المسجد الجامع شيخ كبير يتعثر في طريقه إذا خرج بعد صلاة العشاء لضعف بصره، فخرج وشاهد النور وقال لجماعة معه:- إني أفرق الليلة بين الحصيمة البيضاء والسوداء، وظن الناس أن ذلك ضوء القمر[٣٠].

خامساً: قصة فتح ذمار: وهي أن أهل ذمار رووا أن الإمام لما فتح ذمار شاهدوا عسكراً من خيل ورجال سدت عليهم الآفاق، وريحاً عظيمةً كفت وجوههم وأبصارهم حتى منعتهم التصرف في القتال، وأنهم يريدون الرمي بالنشاب فيتساقط من أيديهم، وربما يتكسر في الهواء[٣١].

سادساً: غزوة حرض: وذلك أنه أصاب الإمام عليه السلام وجنده جهد وعطش شديد من السموم والحما، حتى أشفوا على الهلاك، وقد مال بهم الليل عن الطريق، فوجدوا ماء لم يكن معهوداً وجوده هنالك في ذلك المكان.

سابعاً: في غزوة حراز: وذلك أنه أصاب الجيش عطش شديد وسموم، حتى صار بعضهم صرعى تحت الشجر، فأنزل الله تعالى مطراً في غير وقته، من غير سيل، حتى كفاهم فشربوا واستراحوا.

ثامناً: قصة الأضراس: ما روي أن رجلاً أتى إلى الإمام عليه السلام وقد تقلعت أضراسه جميعها، إلا واحداً، فآلمه ألماً شديداً، فوضع الإمام يده المباركة على ذلك الضرس، ودعا له فعوفي من ألمه، وعادت أضراسه على أحسن قضية.

تاسعاً: قصة الصبي الذي عمي: وهي ما روي أن الإمام كتب كتاباً لصبي قد

---

(٣٠) الحدائق الوردية -خ-.

(٣١) الحدائق الوردية -خ-.

ذهب بصره فلما تعلق الكتاب فيه، أبصر في الحال وعاد إلى عمله[٣٢].

عاشراً: قصة الخيل

وهي أن الإمام لما دخل صنعاء وأحاطت به جنود الغز وهو في المسجد، فلما تفرق الجنود مضى إلى دار أحد الشيعة، فأتى حصانه وبغلته وعليهما العدة والسلاح بدون سائق ولا قائد حتى وصلا إلى الدار التي فيها الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ[٣٣].

الحادي عشر: قصة السيل

وهي أن وردسار أخرب داراً للإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في حوث ثم عاد إلى صنعاء، فما تم الأسبوع حتى أنزل الله تعالى سيلاً لم يُمهد مثله في ذلك العصر، وكان وردسار قد بنى قصراً شامخاً وتفنن في عمارته فأخذه السيل وأخذ كثيراً من أمواله ونفائسه، جزاءً وفاقاً[٣٤].

الثاني عشر: قصة الجراد

وهي أن البلدان التي كان أهلها يتمردون على الإمام يسلط الله عليهم الجراد ويأكل مزارعهم وأموالهم، والمسلمة للإمام فيها من البركة والخير ما ليس في غيرها[٣٥].

---

(٣٢) أنوار اليقين –خ–، الحدائق الوردية –خ–.

(٣٣) أنوار اليقين –خ–، الحدائق الوردية –خ–.

(٣٤) السيرة المنصورية.

(٣٥) السيرة المنصورية.

فهذه بعض كراماته وفضائله التي شاهدها معاصروه وازداد بها محبوه حباً، وكانت سبباً في توبة البعض الأخر ورجوعهم، والتحدث عن فضائله لا يسعها المقام.

وفي تعب من يحسد الشمس ضوئها ويجهـــد أن يـــأتي لهـــا بضـــريب

المعارضين والمناوئين

وقد حصل للإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ الكثير من المعارضين والمناوئين فمنهم ما يلي:-

١- الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان

وقصة خلاف هذا الأمير طويلة ولكنا نشير إلى ملخصها:

بعد أن قام الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بالأمر، كاتب الأمير يحي بن أحمد بتسليم البيعة، فتمرد وأقام ثلاثة أشهر مقيماً على الخلاف، مجتهداً في المباعدة، ثم إن الإمام كاتبه، حتى التأم صدعه، فأتى إلى الإمام سنة (٥٩٥)هـ، فبايعه على الطاعة، وطلب من الإمام أن يوليه على صعدة، فكتب له الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ عهد الولاية، وكان الإمام بأثافت فأقام عنده أياماً، ثم نزل الأمير إلى الظاهر، فتقدم إلى بيت مساك فأظهر الخلاف والشقاق، ثم تقدم إلى شهاب في صنعاء فتلقاه واستر بوصوله طمعاً في مخالفته، ثم إنه حاول إفساد القبائل والعشائر على الإمام، ودعا الناس إلى طاعة ملك الغز إسماعيل بن طغتكين، وأنشأ كتاباً حشاه بالسب والشتم للإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وسماه مسيلمة الكذاب، ولقب نفسه بالمعتز بالله، ثم إنه قام بحرب الإمام في ثلاثمائة رجل من أهل الهجر، فحاربه جنود الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في معركة شديدة أدت إلى قتل نيف وعشرين من أصحابه وأسر آخرين، وأدت إلى أسر الأمير يحي بن أحمد، فأُتي به أسيراً إلى الإمام، فأسره الإمام في دار لم يضيق عليه فيها، ولم يمنع أحداً من الدخول إليه، فأعمل الحيلة في نجاته، فوضع في طعام الحارسين له البنج، فأكلوا منه جميعاً إلا مرحب بن سليمان الحرازي فلم يأكل إلا قليلاً لم يؤثر فيه، فلما سكروا وتغيرت عقولهم، هرب الأمير، وكان قد جعل له كميناً ليساعدوه في

الهرب، فأتى الخبر إلى الإمام بهروبه ثم تمكنوا من القبض عليه قبل الهرب، ورأوا مع الأمير سكيناً يريد أن يفتك بالحارسين له.

وكانت موت الأمير في شعبان سنة (٥٩٥) هـ. قيل إنه خنق، ولم يعلم الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ بقتله ولا أعان عليه ولا أمر به.

٢- خلاف آل نشوان

كان القاضي محمد بن نشوان الحميري قد أتى إلى الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وهو بكوكبان فأقام عنده أياماً يسأله ويباحثه، وقد ذكرنا ذلك فيما تقدم.

وطلب من الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ أن يوليه، فولاه على الكتاب والسنة، وجعل إليه أمر القضاء والحكم في بلاد خولان عامة في تلك الجهة، فأمضى الأحكام عن أمر الإمام، وقبض الحقوق الواجبة من كل جهة، وتصرف معه أخوته في البلاد، وملأ كل منهم يديه، وتمولوا أموال الله تعالى، واشتروا به الأطيان لأنفسهم، وكانوا يأتونه بشيء يسير ويعتذرون بأن خولان قوم طغام لا يؤدون واجباً، فكان الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ يقبل ما يأتونه به من الأموال، فلما انقادت خولان للإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ونفذت الأحكام، أراد محمد بن نشوان أن يكون الأمر لنفسه ولا يبقى للإمام تصرف في جهتهم، فقام محمد بن نشوان في سوق من أسواق خولان، فشرح عليهم، وتكلم في أمر الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وعزل نفسه عن الولاية للإمام، وأظهر التوبة والتعفف عن ولاية الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، واجتهد في تنفير خولان وتبعيدهم عن طاعة الإمام، وباين وناصب، فاختلفت خولان، فلما بلغ الإمام ذلك أنشأ كتاباً عاماً لأهل خولان مذكور في السيرة ص١٩٥.

ثم أنشأ محمد بن نشوان رسالة سماها (الإيضاح إلى الأخوة النصاح) شحنها

بالكذب، وأراد بها تنفير الناس عن الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، ونسخها نسخاً كثيرة، وبعث بكل نسخة إلى جهة يعلم نفاقها فيها، فجاءت منها نسخة إلى الإمام وهو بصعدة فأجاب عنها بالرسالة الموسومة (الإفصاح بعجمة الإيضاح) فقرأت في المجامع فعلم الناس بطلان كلام محمد بن نشوان.

ثم حصلت مكاتبات بين الإمام وبين آل نشوان، حتى كان آخر الأمر أن أرسل الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ مفرح بن مسعود، إلى خولان فاشتد خوف محمد بن نشوان ثم أظهر التوبة والرجوع والبقاء على الطاعة وضمَّن ذلك كتاباً وأبياتاً أرسل بها إلى الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ. والله أعلم.

وأما علي بن نشوان فالظاهر من أمره بقاءه على الطاعة للإمام والولاية وذلك ظاهر في مكاتباته وقصائده إلى الإمام المذكورة في السيرة المنصورية.

٣ـ خلاف المشرقي محمد بن منصور بن مفضل

وكان مع المطرفية وادعى الإمامة بعد البيعة للإمام، وخرج محارباً للإمام وسيأتي ذكر بعض خبره عند الكلام على المطرفية.

وفاة الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ

ولم يزل الإمام عَلَيْهِ السَّلاَمُ خافضاً بحسامه وجوده المعتدين، رافعاً ببيانه فرائض رب العالمين، حتى قبضه الله عز وجل إليه في يوم الخميس الثاني عشر من شهر محرم الحرام سنة (٦١٤)هـ، وعمره اثنان وخمسون سنة وثمانية أشهر واثنتان وعشرون ليلة، وقبر في كوكبان ثم نقل إلى بكر ثم نقل إلى ظفار ومشهده بها مشهور مزور.

وكانت مدة إمامته عَلَيْهِ السَّلاَمُ تسعة عشر عاماً وتسعة أشهر وتسعة وعشرين يوماً.

أولاده عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أولاده عَلَيْهِ السَّلاَمُ:

كان له عليه السلام من الأولاد الذكور ستة عشر ولداً، ومن الإناث عشر.

محمد، وأمه دنيا بنت قاسم، وكانت عند الإمام بمنزلة وتوفيت سنة (٦٠٠)هـ.

وأحمد وعلي، وأمهما فاطمة بنت يحي محمد الأشل من ولد الهادي إلى الحق عَلَيْهِ السَّلاَمُ، وعلي وضعت به أمه سنة (٦٠٦)هـ، في شهر رجب يوم الثلاثاء لاثنتي عشرة ليلة من رجب.

وجعفر وإدريس أمه منعة بنت السلطان الفضل بن علي بن حاتم ودرج صغيراً.

وحمزة درج صغيراً، وإبراهيم، وسليمان، والحسن، وموسى، ويحيى، والقاسم، وفضل درج صغيراً، وجعفر وعيسى لا عقب لهما، وداود، وحسين درج صغيراً.

وله عَلَيْهِ السَّلاَمُ إلى أبنائه الكثير من القصائد الشعرية يحثهم فيها على طلب العلم وعلى الجهاد في سبيل الله والقيام بأمره، وهي مذكورة في ديوانه عَلَيْهِ السَّلاَمُ.

وحكى الفقيه حميد في الحدائق قال: «أخبرنا السلطان الفاضل الحسن بن إسماعيل

قال: سمعت وأنا في داري في ظفار كلاماً في أول الليل بعد وفاة المنصور عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ قبل أن نعلم بموته وكرره قائله حتى حفظته فسمعته يقول: ((أبا محمد أنت القمر الزاهر، وأنت الربيع الماطر، وأنت الأسد الخادر، وأنت البحر الزاخر، وأنت من القمر نوره وضياؤه، ومن الشمس حسنه وبهاؤه، ومن الأسد بأسه ومضاؤه)) ثم أتى الخبر بعد ذلك بوفاة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في كوكبان.

آثاره المعمارية

وقد خلَّف الإمام آثاراً معمارية عظيمة قام بها خدمة للإسلام والمسلمين، لم يخلِّف قصوراً كان يسكنها، بل خلَّف آثاراً تدل على عظمته وعنايته بأمر الإسلام، ابتنى الحصون الحصينة لتأمين ضعفة المسلمين من النساء والصبيان فيها، والمساجد العظيمة لأفعال الطاعات، والمدارس العلمية لدراسة العلوم الدينية.

إن آثارنا تـدل علينـا فانظروا بعدنا إلى الآثار

ومن أعظم تلك الآثار ما يلي:

أولاً: حصن ظفار

وقد اختطه الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وقام بعمارته في شهر شوال سنة (٦٠٠)هـ، وكان قد اختطه قبل ذلك الإمام الناصر أبو الفتح الديلمي عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.

وأشار على الإمام ببنائه جماعة من أصحابه، لأن خطر الغز كان قد عظم لكي يلجئوا إليه عند حركة العدو على البلاد، وكان الإمام قد همّ بعمارتها، وطاف إليها من شوابة، وأتاه في وجه العشي ولم يصعد أعلاه ولم يتأمله حق التأمل، وكان قد أضرب عنه، ولما أشاروا عليه ببنائه رأى إعادة النظر فيه فنهضوا إليه، وطلع الإمام أعلاه وطاف أقطارها، وأمعن النظر في أمرها، فشاهد من الحصانة والمنعة ما رغبه في عمارته، فأعد الآلات وبذل الأموال في عمارته، وكان ابتداء العمل في موضعين:

أحدهما: السور، فقعطت له الصخور الكبار.

والثاني: حفر الخندق.

فبقي عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ في عمارته ثلاثة أشهر وستة عشر يوماً، وسماها «ظفار» فكان

اسمه مطابقاً لمسماه، فما أسرى منه سرية ولا جهز عسكراً إلا كان الظفر قرينه والنصر خدينه.

وهذا الحصن فيه من الحصانة وتصميم البناء وإحكام الصنعة ما يدل على حسن تدبير الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وسياسته.

ثانياً: مسجد ظفار

وهو الجامع الذي فيه قبة وقبر الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وقد يطلق عليه اسم (المدرسة المنصورية) بظفار، وقد تخرج منها طائفة كبيرة من العلماء الجهابذة.

ثالثاً: مسجد الصومعة بحوث

ويقال لَه الآن (مسجد الصومعة) ويطلق عليه قديماً اسم (المدرسة المنصورية) بحوث.

رابعاً: مسجد الزاهر بالجوف

في الجوف، وفيه قبر أخيه الشهيد إبراهيم بن حمزة عَلَيْهِمَا الْسَّلاَمُ.

خامساً: جامع الحلة

من أوطان بني صريم.

سادساً: جامع أثافت

الآثار العلمية

خلَّف الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ثروة علمية طائلة وكبيرة، ومكتبة إسلامية عظيمة، أغنت التراث الإسلامي في جميع المجالات، وعلى كافة المستويات، ورغم ما عاناه الإمام المنصور بالله من الصعوبات في مدة خلافته، ألَّف الكثير الطيب من المؤلفات العلمية التي اعتمدها العلماء في عصره وبعده وإلى يوم الناس هذا، وأصبحت من المراجع التي لا يستغني عنها عالم ولا متعلم، وفيها دلالة واضحة على علم الإمام وتبحره، وفطنته وألمعيته، وقدرته على الاستنباط والاجتهاد، وقوته على الاستدلال بالأدلة الواضحة الجلية، ولهذا لما وصلت مؤلفاته إلى الجيل والديلم واطلع عليها علماء وفقهاء الزيدية في تلك النواحي سارعوا إلى بيعته (وتداكوا عليها تداك الإبل العطاش على الحياض) وقالوا: هو أعلم من الناصر.

وهاهي بحمد الله تخرج مؤلفاته إلى حيز الوجود ليُعمل الناظر فكره ولبه فيها وفي ما احتملته من العلوم العقلية والنقلية، الأصولية والفروعية، وغيرها.

وسنذكر مؤلفاته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ على حسب ما تتعلق به من الفنون:

وأول الكتب وأحقها بالتقديم هو (**كتاب الشافي**) وهو مشتمل على علوم وفنون كثيرة في أصول الدين والفقه والحديث والتاريخ والسير وغيرها، وهو أربعة مجلدات، وقد طبع أولاً، بعناية مولانا الإمام الحجة مجد الدين المؤيدي عليه السلام والرضوان، ثم أعيد طباعته وبهامشه التعليق الوافي على أحاديث الشافي للمولى العلامة نجم العترة الحسن بن الحسين بن محمد الحوثي رحمة الله عليهم، إصدارات مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية.

أصول الدين:

أرجوزة الرسالة الناصحة للإخوان. (شعر).

شرح الرسالة الناصحة للإخوان. (جزآن، طبع ضمن إصدارات مركز أهل البيت عليهم السلام).

الشفافة رادعة الطوافة، (جواب على الأشعري المصري).[طبع ضمن المجموع المنصوري إصدار مؤسسة الإمام زيد عليه السلام].

العقيدة النبوية في الأصول الدينية.

زبد الأدلة في معرفة الله.

أصول الفقه:

صفوة الإختيار في أصول الفقه.[طبع ضمن إصدارات مركز أهل البيت عليهم السلام].

الفقه:

المهذب في فتاوى الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.[طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

الدر المنثور في فقه المنصور.[تحت التحقيق].

الرسالة المرتضاة في العهد إلى القضاة.

الأجوبة المرضية على المسائل الفقهية.

منسك الحج.

مصباح المشكاة في تثبت الولاة.

الرسالة المشيرة في ترك الاعتراض على السيرة.

الرد على الفرق:

العقد الثمين في أحكام الأئمة الهادين في الرد على الإمامية. [طبع بإصدار

مؤسسة الإمام زيد].

الكاشفة للإشكال في الفقر بين التشيع والاعتزال. مخطوط.

الرسالة الإمامية في الرد على المسائل التهامية.

المجموع في آيات القرآن الشريف المبطل لمذهب أهل التطريف.

الرد على المطرفية.

أحكام خاصة:

الرسالة الهادية بالأدلة البادية في أحكام أهل الردة. [طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

الدرة اليتيمة في أحكام والسبي والغنيمة. [طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

في الحديث والفضائل:

الرسالة النافعة بالأدلة القاطعة في فضائل أهل البيت عَلَيْهِمُ الْسَّلاَمُ. [طبع بإصدار مؤسسة الإمام زيد].

حديقة الحكمة النبوية في شرح الأربعين السيلقية.[طبع دار الحكمة اليمانية].

في التفسير:

تفسير الزاهروين (البقرة وآل عمران) شرع فيه ولم يكمله.

وله الكثير من الأجوبة على المسائل التي وردت عليه حتى إن مؤلفاته تنيف على السبعين ما بين مؤلف، وجواب.

وأما قصائده الشعرية فهي مجموعة في هذا الديوان الذي بين يديك (مطلع الأنوار ومشارق الشموس والأقمار).

وبحمد الله فقد طبع الكثير من مؤلفاته ولم يبق إلا القليل، وقد اشتمل المجموع المنصوري بأجزائه الأول والثاني والثالث، على الكثير منها، وطبع ضمن إصدارات

مؤسسة الإمام زيد عليه السلام.

وأما مكاتباته فله الكثير من المكاتبات إلى ملوك عصره وسلاطين وقته، وإلى أهل ولايته وطاعته، وإلى بعض عماله، وإلى بعض البلدان، وقد طبع مجموع مكاتباته عليه السلام، ضمن إصدارات مؤسسة الإمام زيد عليه السلام.

الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ والمطرفية

تعد قضية الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ مع المطرفية أهم القضايا التي واجهها الإمام في إبان دعوته وخلافته، ليس لأنه بداية ظهورها أو وجودها فقد كانت قبله بفترة، بل لأنه الإمام الذي صمد وجهاً لوجه معها في جميع مجالات الصمود والمواجهة.

وهي قضية مثارة جداً في الساحة، ومطروحة على طاولة النقاش والمحاورة، فمن مؤيد للإمام ومعارض، ومن مصوب ومخطئ، ولم تزل إثارتها منذ ذلك القرن السادس الهجري، وإلى يوم الناس هذا.

وكثير من الناس لا يعرف حقيقة الخلاف، ولا يجيد البحث عن القضية بإنصاف وطلب للحق، بل كثير من الباحثين أتوا من قبل الجهل أو قلة الاطلاع أو التعصب المذهبي أو الطائفي أو حب الدنيا.

لهوى النفوس سريرة لا تعلم ... كم حار فيها عالم متكلم

نعرف الحق ثم نعرض عنه ... ونراه ونحن عنه نميل

ومع ما قد شُنَّ من الغارات العشوائية التي تناولت جانب الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وعرضه وتخطئته بل وتظليمه، وتصويب المطرفية، على جميع المستويات الإعلامية في المؤلفات والصحف وغيرهما، نحاول البحث في هذه الورقات باختصار عن المطرفية.

وقد وضعت في تلك رسالة اسمها «القاضب لشبة المنزهين للمطرفية من النواصب» ضمنتها فصولاً في البحث عن المطرفية:

الأول: في نشأتهم.

الثاني: في عقائدهم وأقوالهم.

الثالث: في الأئمة المعاصرين للمطرفية وموقفهم منهم.

الرابع: في الأئمة المتأخرين وموقفهم من المطرفية.

الخامس: في موقف علماء أهل البيت من المطرفية.

السادس: في موقف علماء الشيعة من المطرفية.

السابع: في موقف الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ مع المطرفية.

ونتكلم هنا باختصار عن ما يأتي:

أولاً: نشأتهم:

ظهرت المطرفية في زمن الإمام القاسم بن علي العياني عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ظهوراً أولياً في بعض المسائل التي رد عليهم فيها، ثم تطور الخلاف إلى منتصف القرن الرابع الهجري حيث ظهر الرجل الذي انتسبت إليه المطرفية وهو مطرف بن شهاب، الذي أحدث أموراً وبدعاً وعقائد ضالة مخالفة للقرآن والسنة، أخذها عن طريق الملحدة والباطنية.

ثانياً:- بعض عقائدهم وأقوالهم:

وقد اشتهرت عن المطرفية أقوالاً ضالة كانت سبب كفرهم وضلالهم فمنها على وجه التنبيه والإشارة لا على وجه التعميم:-

١. قوهم بأن الله عز ودل لم يخلق سوى الأربعة الأصول وهي: الماء والنار والهواء والتراب، ولا تأثير له أصلاً في غيرها، وبقية الأجسام والمخلوقات إنما وجدت بالإحالة والاستحالة.

٢. أن الله لم يخلق الآفات والمضار والأمراض ولا أرادها.

٣. قولهم إن النبوة فعل النبي وهي جزاء على الأعمال وليست باختيار الله.

٤. قولهم إن القرآن ليس كلام الله وإنما هو صفة لقلب الملك الأعلى، حتى قال مطرف بن شهاب: ((ما إلينا نزل، ولا بنا اتصل، ولكنه تُلي شيء وبطل)).

٥. قولهم إن الله لا يميت أحداً حتى يبلغ مائة وعشرين عاماً، وقبلها ليس الموت فعل الله بل بسبب تغير التغذية والأمزجة.

٦. نفيهم لحشر البهائهم والسباع يوم القيامة.

٧. قولهم لا نعمة لله على كافر ولا فاجر.

٨. نفيهم للرزق من الله عن العاصي.

٩. وقولهم إن الله سوى بين الخلق في ستة أشياء وهي: الخلق والرزق والتكليف والحياة والموت والعطاء.

١٠. إنكارهم للفضل ابتداءً إلا بالعمل، وبغضهم لأهل البيت عليْهِمُ الْسَّلاَمُ.

فهذه بعض أقوالهم وعقائدهم، وهي مصرحة بمخالفة القرآن الكريم.

وأقوالهم هذه المحكية عنهم حقيقة وليست إلزاماً. فقد حكاها عنهم أئمة أهل البيت علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ وعلماؤهم المعاصرين للمطرفية.

الأئمة المعاصرون للمطرفية

وقد تصدى لرد شبه المطرفية وإبطال أقوالهم والتحذير منهم أئمة أهل البيت المعاصرين لهم فمنهم:

١. الإمام المنصور بالله القاسم بن علي العياني عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ رد على كثير من أقوالهم في كتاب ((التنبيه والدلائل)).

٢. ولده الإمام المهدي لدين الله الحسين بن القاسم بن علي العياني علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ، وقد كفرهم ورد عليهم في كثير من مؤلفاته.

٣. الإمام الناصر أبو الفتح بن الحسين الديلمي عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ رد عليهم وله رسالة سماها ((المبهجة في الرد على الفرقة الضالة المتلجلجة)).

٤. الإمام النفس الزكية الحسن بن عبد الرحمن عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.

٥. الأمير المحتسب حمزة بن أبي هاشم الحسن بن عبد الرحمن علَيْهِمُ الْسَّلاَمُ.

٧. الأمير علي بن القاسم بن علي العياني.

٨. الأمير جعفر بن القاسم بن علي العياني.

٩. الإمام المتوكل على الله أحمد بن سليمان عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ كفرهم ورد عليهم في كثير من المؤلفات، وحكم بخروجهم عن الإسلام وحرم مناكحتهم وذبائحهم، ولا تقبل شهادتهم، ولا يجوز دفع الزكاة إليهم ولا دفنهم في مقابر المسلمين، ولا الصلاة على موتاهم، ويحكم في بلدانهم بحكم دار أهل الحرب.

ومن مؤلفاته:

أ- الهاشمة لأنف الضلال من مذاهب المطرفية الجهال.

ب- العمدة في كفر المطرفية المرتدة.

ج_الواضحة في ارتداد المطرفية الزنادقة.

د- الرسالة العامة.

١٠. الإمام المنصور بالله عبد الله بن حمزة عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وهو أشهر الأئمة، وعلى يديه كان هلاكهم.

١١. الإمام الداعي إلى الله يحيى بن الحسين بن محفوظ عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، له أرجوزة في ذكر أقوالهم، وذكر أئمة أهل البيت الذين كفروهم، وحكم المطرفية عنده، فقد حكم بكفرهم وجواز قتلهم عند قوتهم.

فهؤلاء بعض الأئمة الذين عثرنا على أقوالهم، أو على مصادر موثوقة تدل على ما

حكيناه عنهم، ومن أراد الزيادة فليرجع إلى الرسالة التي تقدم ذكرها ((القاضب لشبهة المنزهين للمطرفية من النواصب)).

الأئمة المتأخرون عن المطرفية

وقد أقَرَّ الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ السَّلاَمُ الأئمة المتأخرون فمنهم من صرح وتعرض لذكرهم وتكفيرهم، ومنهم من لم ينقل عنه شيء في أمرهم، لانقراضهم وزوالهم، فممن حكم بكفرهم:

١. الإمام الهادي إلى الحق عز الدين بن الحسن عَلَيْهِ السَّلاَمُ في المعراج، وقد نقلت كلامه الذي ذكره في المعراج في الرسالة المذكورة آنفاً.

٢. الإمام المتوكل على الله المحسن بن أحمد، وقد حكى إجماع العدلية على تكفير المطرفية ومن شابههم من ضلال الأمة.

ولا يلتفت إلى ما يثير بعض المفترين من نسبة الخلاف إلى بعض الأئمة فهي دعوى عاطلة عن البرهان وقد بينتها في ((القاضب)).

علماء أهل البيت مع المطرفية

وقد تصدى للمطرفية أيضاً علماء أهل البيت المعاصرين لهم وقاموا وقعدوا، وشمروا عن ساعد الجد، وحذروا منهم بكل طرق التحذير باللسان والقلم شعراً ونثراً، وجدالاً وخطابة وغيرها.

ولا سبيل إلى حصرهم جميعاً لكنا نذكر من تيسر منهم فنقول:- من العلماء الذين تصدوا للمطرفية من يلي:-

الشريف العالم الكبير الحافظ لعلوم آل محمد عبد الله بن المختار بن الناصر بن

الهادي عَلَيْهِمُ اَلْسَّلاَمُ.

الشريف العالم الفاضل زيد بن علي بن الحسين الحسني.

الشريف العلامة عماد الدين الحسن بن محمد بن المهول.

العلامة الكبير محمد بن يوسف الأشل بن القاسم بن الإمام يوسف الداعي.

أمير مكة العلامة تاج المعالي شكر بن أبي الفتوح.

الأمير الكبير العلامة عُلَيٌّ بم هيسة بم حمزة بن وهاس أمير مكة.

الأمير الكبير شيخ آل الرسول شمس الدين يحيى بن أحمد بن يحيى بن يحيى.

صنوه بدر الدين محمد بن أحمد بن يحيى بن يحيى عَلَيْهِمُ اَلْسَّلاَمُ.

الأمير الكبير الحافظ الحسين بن بدر الدين محمد بن أحمد.

السيد العلامة حميدان بن يحيى بن حميدان القاسمي.

السيد العلامة صلاح بن الإمام إبراهيم بن تاج الدين.

وغيرهم كثير لا يسع المقام حصرهم.

علماء الشيعة مع المطرفية

وتصدى لهم أيضاً علماء الشيعة، وناصروا أهل البيت دفاعاً عن الحق والدين، فمنهم:-

العلامة المجاهد علي بن شهر.

القاضي العلامة تبع بن المسلم.

القاضي العلامة الحسين بن عبيد الله بن شبيرة.

القاضي العلامة الحسين بن عمار.

وكذلك العلامة سعيد بن بريَّة وله مؤلف موجود لدينا.

وكذلك إسماعيل بن علا وله أرجوزة مشهورة.

وكذلك يوسف بن أبي العشيرة.

وكذلك العلامة عبد الله بن أبي القاسم البشاري.

وكذلك العلامة زيد بن علي بن الحسن الخراساني البروقني.

القاضي العلامة جعفر بن أحمد بن عبد السلام بن أبي يحيى وله مقامات ومؤلفات عظيمة.

القاضي العلامة إسحاق بن عبد الباعث.

العلامة محمد بن حميد الزيدي.

القاضي العلامة عبد الله بن زيد العنسي.

الفقيه العلامة الشهيد حميد بن أحمد المحلي.

وغيرهم من العلماء المعاصرين للأئمة، ولم نذكر المؤلفات تخفيفاً، وإلا فقد ذكرناها في ((القاضب)).

الإمام المنصور بالله والمطرفية

ولما أن انتشرت دعوة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وبايعه العلماء وانتظمت له الأمور، وأقبلت إليه الوفود والقبائل للبيعة، كان من جملة الوفود والمقبلين إليه للبيعة مشائخ المطرفية وعلماء هجرهم، فأقبل أهل هجرة وقش بقيادة الأمير بن محمد بن مفضل، وأبي الفتح بن محمد العباسي، ومعهم مشائخ وكبراء أهل وقش كالفقيه علي بن يحيى البحيري ومحمد بن إسماعيل الشهابي وناصر بن علي العرشي وغيرهم فبايعوا بيعة الطلحة، وجعل الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ منهم جماعة وافرة على ولاية بعض البلدان استحالة لقلوبهم، وقد بين الإمام ذلك في مقصورته الشعرية حيث قال:-

فجائني كل بني مطرف تقودهم شيوخهم شمط اللحى
فقلت هذي توبة قد طمست منه فعلهم ما قد مضى

وقوله:-

جاءوا إليَّ كأن الطير فوقهم لا يرفعون خشوعاً شاخصي البصرِ
فبايعوني اختياراً ضل سعيهم في نكث بيعتهم بالغدر والغررِ

فلم تمض إلا مدة يسيرة على بيعتهم دون ستة أشهر حتى نقضوا عهودهم، ونكثوا بيعتهم، وتركوا إقامة الجمع، ومنعوا تسليم الحقوق الواجبة.

وفي ذلك ما يقول الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ:

فلم يكن إلا ليال قلة ثم استدار أمرهم دور الرحى
واستبدلوا بالرشد غياً ظاهراً وبالجنان المستنيرات لظى

وقوله:-

حتى إذا ما نأت داري ودارهم تدَرعوا لشقاقي فروة النمرِ

ولم يزل الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ يأخذهم باللطف والاستمالة، فلا يزيدهم ذلك إلا بعداً ونفاراً، ثم إنه وقع بين الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ والغز صلح وهدنة لمدة عشر سنوات.

فاستوى على المطرفية وطلب منهم الخروج عن مذهبهم والرجوع إلى مذهب الأئمة، بل الدخول في الإسلام وترك أقوالهم التي أخرجتهم عن الملة، بعد أن جمع من آيات القرآن أربعمائة وسبعة وثلاثين آية محكمة لا تحتمل التأويل قد خالفتها وردتها المطرفية، وصار كفرهم صريحاً.

فلم ينجح ما استخدمه معهم في اللين واللطف، إلى أن اشتد أمرهم وقويت شوكتهم وصرحوا بمذهبهم في جميع القرى والبوادي.

ثم إن الإمام أجرى فيهم الأحكام الشرعية من جواز قتلهم، فقتل رجلاً منهم ناظر في المفاضلة فآل به الأمر إلى أن ساوى بين النبي واليهودي، فبلغ خبره الإمام فأمر بضرب عنقه.

ثم إنهم استعانوا بالغز على الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ فلم تنفع استعانتهم شيئاً، بل كان وباله ذلك عليهم.

فعادوا إلى إظهار السب والأذى للإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ، وتحبير القصائد والأراجيز والرسائل المصرحة بأقوالهم وسب الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وعلماء عصره من السادة والشيعة.

ثم تعدى بهم الحال إلى أن نصبوا لهم إماماً وبايعوه، لكي يحاربوا الإمام المنصور بالله، فنصبوا لهم المشرقي محمد بن منصور بن مفضل، وداروا به في المجامع والأسواق لأخذ البيعة له، فباء مخططهم بالفشل.

وفي ذلك ما يقول الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ:-

كفعل بن مطرف يوم جاءوا … بمهدي لهم مقلوب عين

رجوا منه انتصاراً كيف يرجى انـ … ـتصار من ضعيف المنكبين

هم نظموا الهجاء وحبروه … وحكم الله بينهم وبيني

وزادوا في ضلالتهم وطالوا … بزور ضل سعيهم ومينِ

وفي ذلك ما يقول:

إني قرأت كتاب الله ملتمساً … عذراً لهم في مثَانِي الآي والسور

فقالت الآي لي في الحكم … في القول بالطبع كالعباد للحجر

فَشِمْ عليهم حساماً صارماً ذكراً … واغمده في قلل الهامات والقصر

فحلَّ لي قتل من أدلى بحجتهم … ممن غدا بالغاً للحلم من ذكر

وإن بـدت شـوكة مـنهم فقـتلهم أحل من شرب ما يهمي من المطر

يـا مـن تحير فـي شـك لقـتلهم أذكـر وكـن ذا حفـاظ قصـة النهـرِ

إلى قوله:-

أمـا السـباء فـنحن الآمـرون بـه ليستوي شرع بارينا على الجودي

وقوله:

لقـد ظهـرت ضـلالتهم عيانـاً لمن لا يمتري في المشرقين

هــدمنا دار كفــرهم فقــرت بهدم ديار أهل الكفر عيني

وكـل مسـاجد بنيـت ضـراراً لجـدي فـي بنايـا الخـزرجين

ثم إن الإمام طلب من المطرفية الحضور للمناظرة فأبوا وتعللوا بعلل غير صحيحة، فكتب عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ رسالة إلى الناس عامة، ومقصورة شعرية، فنشرت في الآفاق، وقرئت في المجامع والأسواق، وانتشرت في مكة والحجاز وبلاد مذحج وتهامة وأقطار اليمن وهي في السيرة المنصورية (٢/٨٣٦).

وأعانه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وأيده علماء عصره من أهل البيت وجاهدوا معه، ومن أعظمهم عناءً الأميران الداعيان شمس الدين وبدره يحيى ومحمد أبناء أحمد بن يحيى بن يحيى، قام بإنشاء الكتب والرسائل المحذرة من المطرفية والحاكمة بكفرهم والناطقة بجواز قتلهم وسبيهم ومصرحة بالحكم عليهم كحكم أهل دار الحرب.

فجاهدهم الإمام جهاداً طهَّر الأرض من خبثهم وفسادهم، ولم يبق منهم إلا طائفة مستضعفة لا يستطيعون حيلة ولا يهتدون سبيلاً.

فالإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ حكم فيهم الأحكام الشرعية التي يجب الإستناد إليها وتطبيق قوانينها، وقد أجاب عن كل اعتراض اعترض به عليه في رسائله ومؤلفاته وأجوبته على المسائل التي سأله بها علماء عصره.

فالإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ قام بحكم الله في المطرفية التي استنبطه واستخرجه من أدلة الكتاب والسنة.

فالمطرفية كفار باعتبار عقائدهم وأقوالهم التي تخالف القرآن، وليس كفرهم إلزاماً بل تصريحاً، فأقوالهم صريحة في مخالفة القرآن، ورد ما علم ضرورة من الدين، فهذا أحد الأوجه التي استجاز الإمام قتلهم وسبيهم بسببها.

والوجه الثاني: أنهم بغاة، والبغاة يجوز للإمام قتلهم، وأحكامهم مفصلة في كتب السير.

الفهرس

ترجمة الإمام المنصور بالله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ٧
مولده ونشأته.. ٧
صفته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.. ٩
طهارة نشأته عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ.................................. ٩
مشائخه عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ١٠
الفترة الزمنية التي عاشها عليه السلام في نشأته ١١
الإرهاصات المبشرة بالإمام المنصور بالله ١٣
الأخبار الدالة على فضل الإمام عليه السلام ١٤
المنامات الصالحة.. ١٦
علمه وفضله عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ١٨
شعره عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ٢٠
الدعوة الأولى: دعوة الاحتساب (الإمامة الصغرى) ٢٢
الإمام (ع) والأميرين.. ٢٢
أهم الأحداث في وقت الاحتساب ٢٤
أولاً:. مع السلاطين بني حاتم ٢٤
وقعة ميتك:.. ٢٤
أ. بداية التوجه إلى ميتك:.. ٢٤
ب: وصول الإمام ميتك والكرامة التي حصلت له:........................ ٢٦
ج: تفصيل الوقعة:.. ٢٧
د: الإمام مع السلطان علي بن حاتم: ٢٧
ثانياً:. مع الغز الأيوبيين: ٢٨
مقتل الأمير محمد بن حمزة صنو الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ........................ ٢٩
وقعة عجيب ٣٢

أ. مع إسماعيل بن طغتكين: ٣٢
الدعوة الثانية: دعوة الإمامة العظمى (العامة) ٣٥
ألفاظ البيعة ٣٧
الوفود إلى الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ للبيعة ٣٧
ولاة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ وقواده ٤١
المناطق والبلدان التي وصلت إليها دعوة الإمام عليه السلام ٤٨
أولاً:- مكة المشرفة والمناطق الحجازية ٤٨
ثانياً: الجيل والديلم ٤٩
ثالثاً: خوارزم ٥٠
رابعاً: دمشق(حلب) ٥١
أهم المعارك والحروب ٥٢
أولاً: فتح صنعاء ٥٢
ثانياً:- فتح ذَمَار ٥٣
ثالثا:- وقعة الجَنّات ٥٤
رابعاً:- غزوة المطرح ٥٥
ومن الغزوات ٥٦
كرامات الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ٥٧
عاشراً: قصة الخيل ٥٩
الحادي عشر: قصة السيل ٥٩
الثاني عشر: قصة الجراد ٥٩
المعارضين والمناوئين ٦١
١. الأمير يحيى بن الإمام أحمد بن سليمان ٦١
٢. خلاف آل نشوان ٦٢
٣. خلاف المشرقي محمد بن منصور بن مفضل ٦٣
وفاة الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ٦٤

أولاده عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ ٦٤
آثاره المعمارية ٦٦
أولاً: حصن ظفار ٦٦
ثانياً: مسجد ظفار ٦٧
ثالثاً: مسجد الصومعة بحوث ٦٧
رابعاً: مسجد الزاهر بالجوف ٦٧
خامساً: جامع الحلة ٦٧
من أوطان بني صريم ٦٧
سادساً: جامع أثافت ٦٧
الآثار العلمية ٦٨
الإمام عَلَيْهِ الْسَّلاَمُ والمطرفية ٧٢
أولاً: نشأتهم: ٧٣
ثانياً:- بعض عقائدهم وأقوالهم: ٧٣
الأئمة المعاصرون للمطرفية ٧٤
الأئمة المتأخرون عن المطرفية ٧٦
علماء أهل البيت مع المطرفية ٧٦
علماء الشيعة مع المطرفية ٧٧
الإمام المنصور بالله والمطرفية ٧٨
الفهرس ٨٣